سلسلة كتاب الاتحاد

النورس لايعشق البحر

رواية

فؤاد نصر الدين



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦

رئيس مجلس إدارة اتحاد الكتاب

محمد سلماوى

رئيس لجنة النشر

المنجى سرحان

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

الإهداء

إلى عاشق الإسكندرية الأديب الروائى/

محمود عوض عبد العال

تحية تقدير واعتزاز..

فؤاد نصر الدين

-١-

اعتادت نور الجلوس فوق صخور شاطئ المكس غامرة ساقيها الجميلتين فى المياه المتلألئة بأشعة شمس الصباح الدافئة، متطلعة إلى طيور النورس الرمادية اللون مع بياض لامع، والتى تلتقط طعامها من أسماك البحر مرفرفة بأجنحتها القوية فوق الأمواج المتلاطمة بصخور الشاطئ، وحولها تفرق الصيادون بأدوات صيدهم مشاركين الطيور البيضاء صيدها من الأسماك، وتناثرت مراكب الصيد الخشبية التى تهدهدها أمواج البحر برفق وحنان..

فى آخر جلسة لها فوق صخور الشاطئ كانت فى شتاء يوم قارس البرودة، السماء ملتحفة بالغيوم البيضاء الكثيفة، والشاطئ خالٍ من الصيادين، وطيور البحر تصيح بصوتها الحاد القوى فى حزنٍ كئيب فوق الأمواج وهى تعلو وتهبط على صفحة المياه الهادرة فى عنف.

نظرت نور نحو البحر طويلاً، شردت بذهنها إلى الأمواج الثائرة، التى طوحت على البر صفحة من جريدة الأهرام كاشفة عن صورة لرجل قتيل وكلمات سوداء.. مقتل صاحب ونش بالميناء إثر سقوط البومة.. وصورة البحر فوق البحر صغيرة سوداء، كانت صورته قديمة.

سرعان ما طوحتها الأمواج من جديد لتلتصق بالصخور تحت أقدامها، وهى لاتزال تتطلع نحو الطيور والأمواج والأفق البعيد.

تأتيها صورته، يمد يده إليها والدماء تنزف من جسده، وصوته يتموج مع أمواج البحر «نور.. خبئينى يانور.. البوليس يطاردنى..» تحاول أن تبعد تلك الصورة الدموية عن بصرها فتسقط عيناها فى الماء، لكنه يخرج إليها من جديد مناديًا نور.. نور..

ويزداد صياح البحر ونداؤه طنينًا فتنهض هاربة من البحر إلى البحر.. سارت بمحازاة الشاطئ الممتد بطول البحر دون أن تشعر بتعب أو إعياء حتى كان وقوفها أمام عروس البحر التى اختطفها أمير البحار السبع سابحًا بها فى بحور العالم أيامًا وليال. أرهقه التعب فاستراح بها على شاطئ بحر الإسكندرية، فى نفس المكان الذى وقفت فيه متطلعة إليهما فى انبهار ودهشة، رغم الأسى والحزن اللذين يملآن قلبها. العروس جميلة، جمالها نادر. راحت تحدث نفسها.. هل أشبهها؟ ليتني كنت في جمالها، ثم أسقطت نظرة من عينيها فوق جسد أمير البحار السبع فى صورة الثور الوحشى، فرأته يحتضن العروس الجميلة فى عشق لذيذ. أردفت

نور لنور: إنه يشبهه، ملامحه تطابق ملامحه فارتجف قلبها داخل القفص الضيق مرفرفًا كطائر يريد الانطلاق من سجنه إلى الفضاء الواسع، ثم تركت المكان ورحلت من جديد بعيدًا بمحاذاة شاطئ البحر، وصورة العروس الجميلة المختطفة لا تفارق عينيها. الأمواج تتلاطم بحاجز الأمواج الصخرى لشاطئ السلسلة قاذفة بمياه البحر فوق السور الحجرى، فتصيب وجهها الأبيض الجميل، تهب ريح شقية مطوحة بفستانها الأزرق كلون البحر فيتطاير من أسفل ساقيها إلى أعلى الفخذين المرمريتين فلا تنشغل به، وتتركه للريح يطوحه ويلعب به كيفما شاء. تسأل نور.. نور.. هل أحبت عروس البحر الثور الذى اختطفها ؟ هل تزوجته ؟ أم اختطفها ليعتدى عليها. تحسست بطنها التى بدأت فى التكور وتساءلت مرة أخرى.. هل أنجبت منه ؟ أم أنها استطاعت الهروب، ربما تكون قد قتلته.

مر ثلاثة شبان بمحاذاتها فطيَّر الهواء فستانها من جديد لأعلى، فصاحوا جميعًا مصفرين بأفواههم معلقين فى سخرية وإعجاب: (عيب يا هوا) انتبهت لنفسها فأصلحت من وضع فستانها، ثم أسرعت الخطى وخصلات شعرها المتموج الداكن تتطاير مع الهواء والريح. شعرت بالتعب والإرهاق فاتجهت نحو الشاطئ. نزلت إلى البحر.

جلست فوق صخرة مبللة بالمياه وزينت بالعشب الأخضر للبحر، رأت طيور النورس الرمادية الأجنحة فى قوة، أخذت تراقبها فى

شـرود، فـى هذا المكان تنزهت مـع (عـبـوده)، على شـاطئ البـحـر بعيدًا عن (المكس) أخذها فـى الاتجاه الآخر للبحر حيث الميناء الشرقى والسلسلة، سـارا طويلاً، لم يشـعـرا فـيـهـا بتـعب، كـانت كحمامة تطير فـى رحاب السمـاء، وكان هو منتشيًا، يشـعـر بغبطة وسعـادة. يسيـر جوارها ممسكًا بيدها البضة البيضـاء المتدلية من مـلاءتها السـوداء. فوق هذا السـور الحـجـرى، سـور كورنيش شـاطئ الشاطبى جلسا متطلعين معًا نحو البحر والأفق البعيد، ثم فاجأها بسؤال:

- ما رأيك ننزل البحر.. البحر حصيرة.

حولت نظرها من مياه البحر الزرقاء إلى بحر عينيه السوداوين.

قالت له:

- أنزل بهدومى ؟

قال:

- لا .. أشترى لك «مايوه».

خجلت فأغمضت عينيها الواسعتين وهى ترد عليه:

- ألبس «مايوه» قدامك. لا .. الملايه اللف أحسن

شجعها قائلاً:

- انظرى.. سـيـدات كـثـيـرات يرتدين مـايوهات على الشـاطئ سنؤجر شمسية وكرسيين، وترتدى المايوه.. ستكونى أجمل فتاة..

قالت فى كسوف:

- أنكسف.

جذبها من يدها ليعبر بها طريق الكورنيش صائحًا:

- تعالى سنشترى المايوه من شارع بورسعيد، هناك محلات تبيعه.

غمرتها سعادة ممزوجة بخجل وهى تسرع معه، عبرا الشارع، سارا نحو محلات بيع ملابس البحر، حملقا فى الفترينات الزجاجية؛ بحثا عما يناسبها من مايوهات.

أشار بيده إلى أحد المايوهات المعلقة بفترينة العرض.

رفضته قائلة :

- لا إنه مكشوف

قال:

- كل المايوهات هكذا

دخلا المحل، سأل البائع مايوهًا فسأله البائع بدوره: بكينى ؟

لم يفهم، فأجاب:

- مثل الذى فى الفترينة.

سأله البائع :

- قطعة واحدة ؟..

هزَّ رأسه موافقًا..

أحضر لهما البائع مجموعة مايوهات راحا يتفحصانها. اختار واحدًا فاحمرت وجنتاها خجلاً من اختياره لما ترتديه، ثم خرجا من المحل يحمل المايوه داخل حقيبته البلاستيكية وقد ازداد فرحًا وسعادة وهما يعبران الشارع إلى الشاطئ متجهين إلى حجرة خلع الملابس. وقد طلب منها استبدال ملابسها بالمايوه حتى يستأجر لها شمسية وكرسيين. دخلت بملابسها وملاءتها اللف السوداء حجرة خلع الملابس ثم خرجت إليه عارية إلا من المايوه الذى اشتراه لها. فى خجل حاولت إخفاء جسدها بملاءتها التى أمسكتها فى يدها. لم يتوقع فى البداية أن يراها أمامه كشمس مضيئة. راح يحملق فيها. هل يعقل أن تكون هذه هى نور التى كانت معه فى ملاءتها اللف.

اقتربت منه ملآنة بخجلها تحاول جذب المايوه وشده من أسفل ليخفى شيئًا أكثر من فخذيها العاريتين.

صاح فى وجهها المضىء كنور القمر:

- الله ما أجملك !.. لم أتصور أنك فى مثل هذا الجمال.. تعالى ننزل البحر.

نزع ملابسه تحت الشمسية فبدا لها جسده عاريًا بمايوه صغير.

سألته فى خجلها:

- أنت معك مايوه ؟

قال ضاحكًا:

- دائمًا معى مايوه.. أنا سبَّاح.

ردت فى ابتسامة:

- يا لئيم

جذب يدها نحو الأمواج:

- هيا للبحر.. سنتحدث فى المياه.

جريا فوق الرمال الصفراء، ثم قذفا بأنفسهما فى أحضانه، فاختفيا عن الأنظار..

* * *

حينما خرجا من الماء إلى الشمسية، ومياه البحر تتساقط قطرات من جسديهما، قال عبودة لنور:

- لم أتصور أنك تسبحين بمثل هذه المهارة.

قالت ضاحكة:

- ابنة الوز

أكمل هو ضاحكًا:

- ابنة الوز عوامة طبعًا، كما قلت لك من قبل.

ثم أسندت ظهرها بالكرسى الممدد فوق رمال الشاطئ الصفراء فبدت لعينيه استدارة فخذيها المتناسقتين اللامعتين فى بريق لذيذ تحت أشعة الشمس المتلألئة، وتسلقت عيناه إلى أعلى فحملق فى نهديها البارزين فى نهم وراح يمنى نفسه. لاحظته نور فصاحت فيه:

- عينك يا رجل..

وفى سرعة جذبت ملاءتها فوق جسدها لتخفى بريق جمالها عن عينيه المندهشتين إعجابًا وحبًا.

ثم قالت:

ـ هيا بنا لقد تأخرت

رد:

ـ نور.. وصمت فجأة

أجابته:

ـ نعم ياعبودة

أردف:

ـ سأحضر الليلة لأطلب يدك من أمك.

ما أن سمعت منه جملته حتى دق قلبها دقة واحدة اهتز لها كيانها كله؛ فقالت له لتخفى ارتعاشة قلبها الفرح :

ـ لقد جعت.. البحر جوعنى.

قال:

ـ وأنا أيضًا.. اذهبى إلى حجرة خلع الملابس.. استبدلى ملابسك وهاتى المايوه معك.. إياك أن تنسيه، وسأحضر إليك بعدما أرتدى ملابسى وأرجع الشمسية للغطاس، سنذهب إلى المطعم لنتناول الطعام.

قاطعته فى تصميم:

ـ لا أريد الذهاب إلى مطاعم.. يكفينى سندوتش فول.

رد بابتسامة:

- بدأنا مرحلة التوفير والتقشف.

ثم ضحكا معًا..

* * *

المكس أرض طفولته وشبابه، كم لعب فى حواريها الضيقة!.. وكم سار فى شوارعها!.. بحرك يا مكس كم سبح فى مياهه وصاد من أسماكه!.. وعندك قابل نور ذات صيف، كانت جالسة فوق الصخرة الكبيرة تحرك رجليها فى مياهك يابحر، تراقب غروب الشمس. رآها من على البُعد فأخفق قلبه، كانت المرة الأولى التى يخفق فيها مثلما أخفق فى هذا اليوم. وترنو نور نحو الأفق حيث القرص الأحمر الدامى الذى يقترب رويدًا.. رويدًا نحو جوف البحر. نزع ملابسه ثم غطس فى الأمواج سابحًا بفرح ونشوى.. المكان خالٍ والجو صيفى جميل.. الشمس تنشر آخر ضوء لها على البحر بلونها الأحمر القانى فأخذت الأمواج فى التلألؤ الجميل. سبح تجاهها.. كان يريد رؤية وجهها، ويراها وجهًا لوجه. فكر فى مفاجأتها حينما يخرج من قلب الماء، كانت شاردة تتطلع إلى السماء والقرص الأحمر، والبحر وطيور النورس، وهو يعوم تحت الماء مقتربًا منها، ثم أخرج رأسه فوق صفحة الماء مطلاً إليها، وراحت نظراته فى التطلع إلى وجهها الأبيض الجميل فازدادت خفقات قلبه التى سمع صوت دقاتها مع هدير الموج. نور مازالت شاردة الذهن.. نظراتها فى الأفق البعيد.. اقترب نحوها ببطء،

لكنها أحست به فجأة، ففزعت وصرخت فى رعب منتشلة رجليها من ماء البحر، ووقفت فوق الصخرة تنظر نحوه فى غيظ، ثم هرولت مبتعدة وهو ينادى عليها فى أسف حزيناً:

ـ لاتخافى... لاتخافى...

ياعروس البحر...

تعالى... ياعروس البحر...

فى أسى خرج من الماء تجاه ملابسه مسرعًا فى ارتدائها والماء يتساقط منه. أراد اللحاق بها لكنها كانت قد اختفت. عاد إلى الصخرة التى كانت تجلس فوقها وراح يرنو ببصره ناحية الأفق البعيد حيث عناق السماء بالبحر. نظر كما كانت تفعل فرأى البحر كأنه يراه لأول مرة فى حياته. أزرق باخضرار، وأمواجه بيضاء تتموج موجات وراء موجات حتى الشاطئ.

أهذا هو البحر الذى يعرفه، وهل هذا هو الهواء الذى يتنفسه كل سنوات عمره. الآن يشعر أنه ولد من جديد، لكن أين ذهبت عروس البحر؟ سأل نفسه وأعاد السؤال كما أعاد النظر إلى الأفق فرأى الشمس الحمراء تنزل إلى البحر فى بطء وتغوص فيه...

* * *

تسير نور فى الشوارع والأزقة بدلال وقد لفَّت ملاءتها اللف السوداء حول جسدها الممشوق القوام، مرتدية البرقع السكندرى على وجهها الأبيض الجميل فازدادت به جمالاً، وراقبتها الأعين فى

تتابع مدهش والألسن تطلق عبارات الإعجاب والمديح لجمالها ودلالها. سارت فى سوق المكس فتلهفت الأنفس والقلوب إليها، ورآها هو على حين غرة فصاح فرحًا:

- عروس البحر.

التقطت أذناها عبارته، فالتفتت نحوه باسمة، اقترب منها فصاحت فيه:

- أنت يا ملعون..؟!

استقبلته بغيظ، واستقبلها بابتسامة:

- أنا الصياد الذى رأى عروس البحر.

فى سخرية ردت:

- عروس البحر!

أردف:

- التى خطفت قلبى وهربت به.

فجأة تذكرت أباها الذى خطفته عروس البحر وهربت به بعيدًا فى أمواج البحر.

صاحت فى غيظها:

- قلبك تلاقيه مرمى هناك فى كوم الزبالة.

قال وهو يسير جوارها :

- أنا واثق أن قلبى مع عروس البحر.

وقفت، ثم نظرت إليه فى إمعان وتفحص، فأبصرت فيه الرجولة والشباب المتدفق فى حيوية، وعبرت صورته عاريًا فى البحر أمام عينيها فحدثت نفسها:

- ياله من شاب.

تمنته، إنها تحلم برجل مثله، ثم انتبهت لنفسها، قالت:

- ماذا تريد يارجل ؟

قال:

- قلبى.

قالت:

- ابحث عنه بعيدًا عنى.

قال:

- أنا واثق أنه معك

صاحت:

- معى!

وراحت فى حركة تمثيلية تبحث فى ملابسها عن لا شىء

قال:

- روحى تقول لى: إن قلبى راح جنب قلبك.. أصله لاقى وليفه.

ردت:

- ابعد عنى يا رجل أحسن لك

سأل:

- لماذا هذا الجفاء ياعروس البحر؟

كانت عيناها الكبيرتان الواسعتان الداكنتان تجفل عند الخجل والتهكم.

أردف:

- على العموم سأنتظر قلبى فى نفس المكان أنا لا أستطيع العيش بدونه ياعروس البحر.

ثم دلفت إلى أحد حوانيت بيع لوازم النساء، والتفتت تراقبه بعيونها الجميلة فى حذر، فرأته يسير مبتعدًا .. فحدثت نفسها فى حزن:

- لماذا تبتعد يا أهبل ؟

* * *

وقف عبودة فوق صخرة المكس يراقب الأمواج الناعمة والسماء الصافية ومراكب الصيد الهادئة فوق المياه، وطيور النورس رمادية الأجنحة وبيضاء الجسم، وقلبه يتلهف لرؤية عروس البحر، متطلعًا بين الحين والحين إلى جهة الترام الذى يقف بآخر محطة له بالمكس، فيظل ساكنًا بلا حراك لينال قسطًا من الراحة، إنه لايعرف الراحة منذ أن رآها. قلبه وعقله سارا فى طريقين متوازيين كشريطى الترام اللذين تسير فوقهما. نظراته تشتَّتَتْ بين البحر والسماء والطيور والصخور والترام والطريق الموصل إلى مساكن الصيادين عساها أن تأتى إليه، ولم يمض وقت طويل حتى لمح امرأة تسير الهوينى تجاه البحر فراقبها جيدًا.

وقفت على الشاطئ، أسرع إليها مغنيًا فى فرح :

ـ ياحلو صبح ياحلو طل

ياحلو صبح نهارنا فل..

ابتسمت:

ـ أنت مرة أخرى

قال لها :

ـ قلبى يحدثنى أنك قادمة لامحالة

قالت له:

ـ جئتُ للبحر

قال:

ـ وأنا أحب البحر وعروس البحر

قالت:

ـ يبدو أنك كلامنجى

قال:

ـ أبدًا وحياتك منذ رأيتك وأنا مخلوق جديد لايعرف شيئًا فى دنياه سوى صورتك البهية وصوتك الشجى

قالت بحنان:

ـ تأتى هنا كثيرًا

أجاب:

- أبدًا، لكن منذ أن رأيتك وأنا كل يوم هنا

ثم سألها:

- وأنت تأتين هنا كثيرًا

ردت:

- كل يوم

قال:

- تحبين البحر

قالت:

- أحبه كثيرًا.. كان أبى صيادًا.

ابتسم:

- ابنة الوز عوامة

سألته:

- وأنت صياد؟

أجاب:

- لا أبدًا.. أنا سائق

ضحكت في دلال:

- سائق.. سائق الهبل على الشيطنة يا واد

ضحك معها:

- حلوة منك.. دمك خفيف، لكن لم أعرف اسمك.

قالت فى دلالها وهى تسير بخطوات بطيئة على الشاطئ:

ـ نور.. اسمى نور.

صاح :

ـ الله... نور

راح يردد نور... نور.. ما أجمل اسمك إنه كوجهك نور فى نور. ضحكت وهى تحملق فى عينيه المشعتين فرحا وسعادة:

ـ وانت ؟

قال:

ـ أنا العاشق يا نور.

زادت من ضحكها فضحكت ضحكة عالية كاشفة عن أسنانها اللؤلئية وضربت كتفه براحة يدها قائلة:

ـ أسألك عن اسمك يارجل.

كانت خصلات شعرها الداكن الكثيف المتموج سائبة فى حرية، وكان وجهها الأبيض الجميل مشرقًا ومتلألئًا، دفعت بيدها شعرها إلى الخلف بعيدًا عن وجهها، وشفتاها تبتسمان وسبحت عيناها مع الطيور فى السماء.

* * *

الآن تأتينى صورتك التى أحبها ياعبودة على صفحة الماء، أراك ياعمرى كله فى أمواج البحر الناعمة. هأنذا أخرج معك لأول مرة لقد تواعدنا والتقينا، فى محطة ترام المكس كان لقاؤنا. ركبت

الترام معك، جلست أنا فى عربة الحريم ووقفت أنت بعيداً مع الرجال، لكن نظراتك لم تبتعد عنى، لم تتركنى وحدى، وابتسامتك كنت أراها كلما تطلعت إليك، كنت فرحة بخروجى معك، كاد قلبى يطير كحمامة. كانت المرة الأولى التى أواعد فيها رجلاً وأخرج معه، قلبى يدق دقاً متواصلاً أسمعه بأذنى، كان دقه لذيذاً، أحبه وأعشقه، يسير الترام الكهربائى بصوته وأزيزه المزعج ولكنى سعيدة.. سعيدة.. يسير الترام من المكس للورديان إلى القبارى تنزل ناس وتصعد ناس أخرى يصيح الكمسارى (سينما الهلال الغاوى يدخل السينما.. محطة السينما هنا) ثم يطلق الكمسارى صفارته بمهارة وحب للسائق كيما يعيد قيادة الترام من جديد ويصل الترام إلى كوبرى التاريخ وأرى السفن راسية بالبحر على البعد وقطارات الفحم أسفل منا ويواصل الترام سيره إلى مينا البصل. أنا سعيدة سعيدة ياعمرى. وينطلق إلى دار إسماعيل، كلما وصل إلى محطاته يصيح الكمسارى عن اسمها لينبه الراكبين الغافلين. وعند دار إسماعيل صاح الكمسارى خفيف الدم.. (دار إسماعيل اللى عاوزه تولد ونسيت نفسها) وضحك كل من بالعربة. حتى النساء ضحكن ورحن يغمزن بأعينهن وعلّقن على جملته. ثم صاح الكمسارى (خلاص ح نمشى مافيش واحدة نسيت نفسها. ممنوع الولادة داخل الترام. ياالله ياسيدى سوق) وصفر بصفارته وسار الترام ببطء فى شارع الخديوى وصاح الكمسارى: (باب عمر باشا ومحطة مصر بعدها.. اللى عاوز ينزل يحضّر نفسه) فأشرت لى بالنزول فى المحطة. نزلت التفت حولى كسارقة تخشى أن

يقبض عليها، وكنت أدعو الله من كل قلبى ألا يرانا أحد حتى لا افتضح.

سألتك..

- إلى أين؟

قلت لى:

- نذهب لمحطة الرمل نركب الترام أبو دورين ونرجع مرة أخرى لندخل السينما.

- صرخت صرخة خفيفة وأنا أبتسم من جوايا وضربت صدرى بيدى:

- سينما ياعبودة ياخرابى.

لم أكن أعرف السينما لكنك هدّأت من روعى. قلت لى:

ما بك لاتخشى شيئًا.

سرنا فى شارع النبى دانيال أدارى وجهى بالملاءة اللف رغم البرقع، حتى لايرانى أحد معك. ومن خلالها كنت أحملق فى كل شىء بالطريق مددت يدك نحوى فأمسكت يدى. كانت يدك دافئة خشنة، هبط قلبى، فسحبت يدى، من يدك فى سرعة، نظرت فى عينيك:

- عيب ياعبودة

قلت لى:

- أحبك يانور.

مددت يدك مرة أخرى قابضًا على يدى، فلم تستطع الفرار منك مرة أخرى.

صحت:

- ياه يدك مثلجة.

قلت لك:

- من الكسوف.

طمأنتنى:

- لايهمك شىء.. سأدفئ يدك

وقتها شعرت بحنانك وعطفك يسريان فى عروقى وشراييني.

سرت معك فرحة، وأنا أدعو الله أن أظل هكذا حتى نهاية العمر، فرحة.. فرحة. وفى محطة الرمل رأيت الترام أبو دورين. كانت المرة الأولى التى أرى فيها ترامًا بدورين فوق بعضهما. إنه يختلف كثيرًا عن الترام الذى بالمكس، ضحكت. كانت أمى تحدثنى كثيرًا محذرة: يانور (خللى بالك من الكهربا) وأحيانًا تحذرنى (الكهرباء أكلت ولد امبارح خللى بالك) وأضحك، أضحك فأمى لاتزال تعتبرنى طفلة صغيرة. ركبت معك صعدت بى الدرجات لأعلى وجلست جوارى. التصق كتفك بكتفى، كنا فى الأعلى نراقب كل شىء أسفلنا وفوقنا. نراقب الأشجار والمبانى والبحر والناس والسماء والطيور، والترام يسير على مهل فوق قضبانه الحديدية السوداء التى أراها أمامى فى استقامة واعوجاج بالسعادة التى ملأتنى وفاضت منى حتى انسكبت فى الترام وعلى القضبان

فأغرقت الشوارع. وفى الظهيرة ذهبت بى إلى السينما. كانت سينما (راديو) كانت المرة الأولى التى أرى فيها السينما. قطعت تذكرتين وصعدت بى إلى البلكون. دائمًا تصعد بى ياعبودة. كان البلكون مظلمًا لكن ظلامه كان لذيذًا. لم أخفه بل فرحت به. فهنا لن يرانى أحد معك ووضعت يدك فوق كتفى. التصقت بى. أحسست بأنفاسك فى خدى. شعرت بسخونة جسدك. ثم أضاءت الشاشة فرأيت الناس أمامى يتكلمون ويرقصون ويغنون فى سعادة وحب ويقبلون حبيباتهم فى نشوى. كنت خجلة منهم حتى أضعت أنت خجلى حينما أمسكت يدى وقبلتنى. لأول مرة يقبلنى رجل. لأول مرة أذوق طعم القبلة. لم أنسها أبدًا ياعبودة. كانت قبلتك قبلة الحياة لى.. كل شىء عشته لأول مرة عشته معك ياعبودة، فأحببته وعشقته حتى الثمالة؛ بل حتى الموت..

* * *

كثيرًا ما كانت تدعو أمى بعد صلاتها بأن يحفظنى الله ويرسل لى ابن الحلال الذى يسترنى ويحافظ على. كنت أسمعها وأنا أتمتم تارة سرًا وتارة أخرى جهرًا. آمين. آمين ياأمى. وأسرح بخيالى فى ابن الحلال الذى سيأتى فوق حصان أبيض ليخطفنى ويحبسنى فى بيته لآتيه بالولد الذى يفك سجنى. وتضحك أمى وتحكى لى عما تراه وتتمناه لى فى المستقبل. سيكون لك بيتٌ واسعٌ وستنجبى ذرية من الأولاد. صبيان وبنات ويفرح زوجك، ثم تحذرنى إياك وعدم الإنجاب أو التأخير فيه. الرجل يحب المرأة الولود، ويحب

أن تكون له ذرية. الأولاد يطيلون من عمر الأسرة. هم زينة الحياة الدنيا فأهز لها رأسى موافقة وقلبى يرفرف من السعادة التى ستأتينى، وأحلم بالرجل. الفارس فوق فرسه. طويل وعريض بشارب. يرتدى البنطلون والقميص. أفندى. لا أريده صيادًا فالبحر غادر رغم حبى له. وأنا أخاف على زوجى من غدر البحر وجنّيّة البحر التى ربما تخطف زوجى. لا أريد من جنية البحر أن تخطف زوجى ويعيش معها فى البحر. لا.. لن أدعها تخطف زوجى. لا..لا.

* * *

فى ساعات الخلوة حينما كانت أمى تخرج من الحجرة لتزور جارة من جاراتنا أو تزور نينا أم صبحى. كنت أغلق باب الحجرة جيدًا وأقف أمام المرآة. ثم أنزع ملابسى قطعة، قطعة متطلعة لجسدى الذى ينكشف أمامى جزءًا جزءًا، وأراه ينمو أمام عينى فتداعب أصابعى صدرى وخصرى وأردافى فأشعر بنشوى وسعادة، وأتمتم لنفسى متى يأتى الحبيب الذى يمتلك ما تمتلكه يدى. متى يأتى الفارس. وأعود فرحة لأرتدى ملابسى فتتبدل صورتى أمام المرآة تتحول لصورة أخرى. لفتاة بفستانها المنزلى، وأتحسس شعرى الطويل المتهدل فوق كتفى فأمسك بالمشط وأمشطه وأنا أغنى.. يا امّه القمر ع الباب قومى افتحى له الباب...

* * *

فى المساء دخل عبودة مع الشيخ سالم وصديقه الشرقاوى حجرة نور.

جلسوا فوق الكنبة العربى. جلست أم نور فوق فروة خروف قديمة تفترش الأرض، ثم خرجت نور لتجلس عند أم صبحى التى قصَّت لها نور عن سبب مجىء عبودة والشيخ سالم فملأ البشر وجه أم صبحى، فأخذت تساعدها فى إعداد فناجين القهوة للضيوف وهى تدعو لها بأن يتمم لها الله على خير.. ودار الحديث فى الحجرة الأخرى بين الأم والشيخ سالم عن خطوبة نور وعبودة. ابتسمت الأم فرحة وانشرحت أساريرها.

فسألت:

- نور؟

رد عليها:

- نعم.. نور

أردفت:

- نور صغيرة

رد عليها:

- نور عروسة طابت وطلبت الأكيلة وعبودة يريدها فى الحلال.

قالت:

- تعلم ياشيخ سالم أن أمنية كل أم أن ترى ابنتها عروسة بطرحتها البيضاء، لكن ظروفى وظروف نور هذه الأيام صعبة و..

قاطعها الشيخ:

- وحدِّى الله يا أم نور.. كلنا أهل، نحن لا نريد منك فوق طاقتك.

قال عبودة:

- اسمح لى ياعم الشيخ سالم أقول أمامك إنى لا أريد من أم نور شيئًا.. سآخذ نور بجلبابها فقط ولا أريد أكثر من ذلك.

أجاب الشيخ:

- بارك الله فيك ياولدى. أنت طيب ونور طيبة والله سبحانه وتعالى يقول:

(وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)

فما رأيك الآن يا أم نور؟

(خذوهم فقراء يغنيكم الله)

نقرأ الفاتحة.. الفاتحة لحضرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

انطلقت زغرودة طويلة من أم صبحى، وبعيدًا عن العيون قفزت نور فرحة ضامّة يديها فوق صدرها وهى تردد:

أحمدك يارب.. ياحبيبى ياعبودة.

راحت أم صبحى توزع الزغاريد فى أنحاء البيت، ثم دلفت داخل حجرة نور وصاحت مبروك يا أم نور.. مبروك ياعبودة.

رد عليها عبوده تهنئتها سعيدًا، ثم أردفت أم صبحى:

- الآن يلزم لنا شربات..

لكن الشيخ سالم أنهى اللقاء قائلاً:

ـ إن شاء الله نشرب الشربات عند كتب الكتاب، السلام عليكم.
خرجوا وخرج معهم عبودة فرحين والتفّ بعض الجيران يسألون عن سبب الزغاريد وما أن علموا حتى انهالوا مهنئين نور وأمها.. وبعدما انفض الجيران من حجرة نور قالت أم صبحى:

ـ هاتى البخور يا نور.. أريد أن أرقيك من عيون الناس.

* * *

البحر فى طوبة، والصقيع يغلّف الكون بهوائه البارد، الشمس توارت فلم تخرج اليوم، وكثير من الناس ظلوا داخل بيوتهم هربًا من الصقيع. لكن نور ارتدت جلبابها الصوفى الأسود الطويل ووضعت شالها القطيفة الأحمر فوق رأسها متدليًا على كتفيها واحمرَّت وجنتاها دفئًا فازدادت جمالاً وأصبحت كلوحة فنان شهير. أخبرت أمها بعزمها على الخروج قليلاً والعودة سريعًا. حاولت الأم منعها خوفًا من صقيع الجو ونزلات البرد القارس، لكنها أصرَّت فى لطف وخرجت إلى البحر. الشوارع خالية من المارة اللّهم إلا بعض الصيادين العائدين إلى بيوتهم بعد رحلة صيد. تطلعت نور إلى البحر من البعيد فابتسمت له صائحة:

ـ سآتيك يا بحر.. سآتيك ياحبيبى..

وسارت بخطواتها الواثقة نحوه. كان البحر هادئًا. لا أمواج به لونه مختلف. لا أزرق ولا رمادى. لون آخر للبحر وبدت بعض الجزر الصغيرة فى أنحائه تطل بصخورها السوداء المزروعة بنباتات البحر الخضراء، وطيور النورس البيضاء تنتشر فوق الجزر

الصغيرة بأسراب كثيرة تقف فوق الصخور لتنال قسطًا وفيرًا من الراحة بعد عناء الطير والصيد. أطلّت نور بعينيها الواسعتين المكحلتين بالأسود نحو السماء. كانت رمادية بزرقة. كأنها ترتدى غلالة رقيقة أخفت بها اللون الأزرق. سألت نور نفسها:

ـ مابال السماء اليوم؟ لم أرها فى مثل هذا اللون من قبل.

ثم اقتربت من البحر تستنشق الهواء بكل ما لديها من اشتياق. ثم أخرجت زفيرها مرددة.

ـ الله.. الله.. رائحة البحر حلوة..

ورنت ببصرها إليه فى عشق فوجدته هادئًا والجزر الخضراء تبدو من خلال انحسار المياه عنها.. وكل الطيور. كل الطيور فوق الجزر فى استراحة المقاتل.

حدثت نور نور. قالت لها:

ـ شكل البحر اليوم غريب، والصخور كثيرة، لم أتصور أبدًا أن بداخله كل هذه الصخور. والنورس كثير اليوم. من أين أتى ياترى؟ لم أر كل هذه العدد من قبل..

كانت طيور النورس الواقفة فوق الجزر الصغيرة التى انحسر عنها ماء البحر تلتقط طعامها من الأسماك التى وجدت نفسها فجأة بلا مياه أو أمواج.

سألت نور:

ـ ما بك يا بحر؟.. كأنك مستغرق فى نوم عميق، أرهقت من كثرة ماجريت بأمواجك، تستريح الآن يابحر.

سارت قليلاً على الشاطئ رأت قليلاً من الصيادين يجذبون حبل شباكهم الغارقة فى أعماق البحر بشكل دائرى تطلعت إليهم وهى تدعو فى سرِّها بأن يرزقهم الله الرزق الوفير. ولم يلتفت منهم أحد إليها كانوا فى انهماك عملهم يحاولون إخراج شباكهم الممتلئة بالأسماك.

سارت مقتربة من إحدى الصخور. جلست فوقها. نزعت حذاءها الصغير. وأدلت برجليها التى رفعت عنها طرف فستانها الصوفى الأسود كاشفة عن ساقيها المرمريتين فى مياه البحر. وما أن غطَّست رجليها حتى صاحت فرحة:

- الله المياه دافئة. كأنك يابحر تشعر ببرودتى. تريد أن تدفئنى.

راحت تلاعب رجليها فى المياه الدافئة فرحة كطفلة صغيرة تلهو بلعبتها وحملقت نور إلى البحر ثم قالت له:

- مابك يابحر؟ إنك تدعونى اليوم للنزول إليك.. اليوم شديد البرودة ولم أستعد إليك. أنا لا أرتدى شيئًا لك. تريدنى أنزل إليك بفستانى.

ضحكت ضحكة خفيفة كأن هناك من يداعبها. قالت:

- أنت لئيم يابحر تريدنى أن أنزع الفستان عن جسمى وأنزل إليك عارية. لا يا بحر عيب. لما يكون معى ملابس أخرى سأنزل إليك سأحتضنك وأقبلك لكن اليوم لا. لا يا بحر فأنا غير مستعدة. يا بحر لاتجذب رجلى نحوك. اترك رجلى يا بحر كفاك شقاوة. سأبعد رجلى عنك. سأنزعها من أحضانك. لا فائدة. تريدنى أن

أنزل إليك. لا أرجوك يا بحر سأبل وستبلل ملابسى. وعندما أعود لأمى ماذا أقول لها ؟ أرجوك اتركنى اليوم وسأعود إليك مرة أخرى أرجوك يا بحر دعنى أذهب. أمى تنتظرنى.

انتشلت رجليها من مياه البحر الدافئة لتقف فوق الصخرة فشعرت ببرودة قدميها صاحت فى غضب:

- ألم أقل لك اليوم شديد البرودة.

أنا راجعة إلى البيت.. سأرجع إلى أمى وأراك مرة أخرى.

(باى باى يابحر)..

*

ـ ٢ ـ

الليل بدأ فى دخول الشوارع والحارات بجسده الضخم المظلم فأضيئت له فوانيس الشوارع الزيتية، وانقطع لعب الأولاد بالكرة ليتجمعوا تحت أعمدة الإضاءة التى بدأت مع دخول الليل تضىء الأمكنة، وتغير اللعب بالكرة إلى الحكايات والأقاصيص والألغاز، ولعبات (أولنا إسكندرانى) و (زن) فانتشرت صيحاتهم وضحكاتهم التى أزعجت بعض السكان الذين ينشدون الراحة والهدوء بعد يوم عمل مضن، إلا أن صوت (الضانى) الجهورى الذى راح يوزعه بسرعة فى هُرولته بالشوارع والأزقة.

ـ المعلم سيد أبو ضرار مات.. ياناس ياهووووه.

سرعان ما مرَّ بمجموعة الأولاد فكفوا جميعًا عن لعبهم وحكاياتهم، وانتشروا فى كل الاتجاهات موزعين أنفسهم على البيوت فى فزع يبلغون أهليهم بموت المعلم سيد أبو ضرار. انتشر

الخبـر فى كل بيت وفى كل شـبـر كـأنه الحـريق. ووصل الخبـر إلى (نادرة) زوجته.

- المعلم سيد أبو ضرار مات يا معلمة.. وقع عليه الونش.

أحرقها الخبـر المشتعل فضربت وجهها بكفيها فى فـزع وخوف ورعب صارخة:

- ياليلة سوداء.

وانهـارت فوق الأرض مغشيًا عليها. أسـرع بعض الناس يضخون وجهها بالماء، وضـرب أحدهم خديها بكفه فى رفق عسى أن تفيق وتنتبه وعند إفاقـتهـا أسـرعت خارجة من بيـتها إلى بطن الحـارة لتتأكد مما وصلها، فـأبصـرت جمعًا من الناس يتحدثون عن وقـوع (بومـة الونش) فـوق المـعلم سـيـد أبو ضـرار، لمـا لمحـوهـا التـفـوا جميعًا حولها يواسونها فى حزن وبكاء. سرعان ما انطلقت الأسئلة حولها وهى وسطهم لاتدرى شيئًا:

- الخبر صحيح

- منذ متى؟

- من جاء بهذا الخبر الأسود؟

- الضانى

- غراب شئوم

- مات

- الله يرحمه

- وقع عليه الونش

- كان رجلاً طيبًا

- وكيف يقع الونش؟

سؤال سألته الزوجة المكلومة وهى تصرخ مولولة بأعين بلل ماء الدمع خديها فألجم السؤال الألسنة وتساءلوا: كيف يقع الونش؟ التفوا حول أنفسهم متطلعين فى عيون بعضهم البعض فى محاولة بحث عن إجابة للسؤال وعندما فشلوا فى الحصول على إجابة شافية كافية صاح أحدهم :

- مازلنا واقفين هنا. هيا بنا على الميناء لنتأكد من صحة الخبر الأسود.

وكأن الرجل قد نزع السدادة من فم الزجاجة فانطلق المارد مندفعًا إلى الخارج. هرولوا جميعًا ناحية (باب ٢٧) بالقبارى. وجرت معهم بجلبابها المنزلى وقدميها الحافيتين.

* * *

الحكومة قيدت موت المعلم سيد أبو ضرار قضاءً وقدرًا وأفرجت النيابة عن أبى الغيط الوناش. لم يكن له يد فى موت الرجل. وقعت عليه (الشكة) فمات.

هذه الحوادث كثيرًا ماتقع فى الميناء. الونش يرفع الحمل.. حديدًا. خشبًا.. أجولة، وفجأة يقع الحمل. ينقطع (الواير) واستر ياستار.. أو تسقط (الوصلة) وياستار استر.

كان نساء الأهالى والجيران وبعض عمال الميناء يزورون أرملة الفقيد فى بيتها، يواسونها، يأخذون بخاطرها بعد إفراج النيابة عن أبى الغيط الوناش، واعتبار موت الرجل قضاءً وقدرًا نتيجة لزحمة العمل فى مركب الحديد ووجوده تحت الأحمال المرفوعة. الخطأ خطأ الرجل. كان يتواجد دائمًا تحت الونش. لم يقدر قدرًا لمثل هذه الساعة. كان كل همه العمل. أزرفت الزوجة المكلومة دموعها الساخنة التى احمرَّت لها العين أمام الناس الذين راحوا يشدون من أزرها.

- البركة فيك

- الدنيا أمامك طويلة وعريضة

- العمر الطويل لك

- ربنا يخلف عليك وتتزوجى خيرًا منه

نظرت إليهم وهى تشيح بيدها فى يأس قائلة:

- بلا زواج.. بلا هباب. أنا خلاص جربت بختى. عرفت حالى وحظى.

ردت إحدى النسوة:

- مازلتِ صغيرة يا أختى وألف رجل يتمناك.

فى هذه اللحظة دخل (أبو الغيط) الوناش ومعه ثلاثة رجال

صاح أحدهم مستأذنًا:

ـ دستور. السلام عليكم. لامؤاخذه الست نادره موجوده.

ردت إحداهن:

ـ نعم موجوده نقول لها من؟

رد:

ـ نريد أن نأخذ بخاطرها ونعزيها

أردفت:

ـ تفضلوا نعطيها خبر

وما أن دخل الرجال من الباب حتى رأته فصاحت فى وجهه

ـ أنت ياقاتل يامجرم.

أسرع الرجال حول الرجل وأحاطت النسوة بها مفرقين بينهما

قال أحدهم:

ـ أبو الغيط جاء ليأخذ بخاطرك ويواسيك فى موت المعلم سيد أبو ضرار ـ الله يرحمه ـ

صرخت:

ـ يقتل القتيل ويمشى فى جنازته

رد الرجل:

ـ أبو الغيط برىء وقد برأته النيابة

صاحت:

ـ لكنه قتل زوجى

وانهارت فى بكاء متشنج

* * *

امتلكت نادرة الونش الروسى، والبيت الذى تقيم فيه نصيبًا شرعيًا بعد وصية كان قد كتبها زوجها المعلم سيد أبو ضرار، ومن قبل كانت تمتلك الحلى الذهبية التى تملأ ذراعيها، فتطلعت الأعين إليها واشتهتها الأنفس، فالمرأة جميلة وغنية، وليس لها من نصير. يتيمة ومقطوعة من شجرة، فتقدم الرجال إليها ودودون فى مودة ومحبة، فالبورى، والضانى، وشطه، والشحات، وبلية، والسيدحريقه كلهم تقدموا إليها طالبين الزواج منها سواء بالحديث المباشر، أو بإيفاد الرسل إليها، ورفضتهم المرأة جميعًا رفضًا قاطعًا، لكن حينما تقدَّم أبو الغيط طالبًا الزواج وافقت على الفور، وتم الزواج سريعًا كسرعة البرق، فضربت الأكف وفغرت الأفواه دهشة وعجبًا كيف يتزوج (أبو الغيط) بزوجة المعلم (أبو ضرار) الذى قتله بإسقاط بومة الونش فوق رأسه. ثم راحت الألسن تربط بين موت (أبو ضرار) وهذا الزواج غير المتكافئ، وانتشرت الإشاعات ممزوجة ببعض الحقائق. وأكدت الأحداث التى رآها الناس بعيونهم أقاويلهم؟ واستفاد من جريمته. كانت الألسن تتكلم كثيرًا وتقول كل مايجول بخاطر الناس.

* * *

كـان سـيـد أبو ضـرار فى بداية حـيـاته تبـاعًا لأحـد الأوناش الروسية بالميناء استطاع بمهارته وتعلمه من قيادة الونش وتحميل السيارات اللورى وقت غياب سائقه الأصلى، ولما تغيب السائق كثيرًا عيَّنه صاحب الونش سائقًا أساسيًا له بديلاً عن السائق الغائب فارتفعت قيمة الرجل المادية والأدبية. أصبح أسطى ماهرًا يشيد به أصحاب الأعمال البحرية ومقاولو الشحن والتفريغ داخل الميناء وخارجها خاصة فى شارع البحرية وشارع المكس، ومن عمله على الونش وفَّر وادخر المال الذى أهله وأمكنه من شراء بيت صغير جوار (كوبرى التاريخ) وأمكنه بعد ذلك الزواج أيضًا. لكن حظه فى الزواج لم يكن كحظه فى العمل، فمع مرور السنوات لم يستطع الإنجاب بسبب عقمه، وماتت زوجته الأولى فالتفت إلى فتاة من (كوم الملح) بالقرب من (القبارى) و(باب ٢٧) و (كوبرى التاريخ) كانت يتيمة الأبوين يتكفَّلها أحد أقربائها البعيدين. رجل طيب يبيع المكرونة بعربة خشبية، فكانت تعاونه فى عمله، وكثيرًا ما كان المعلم سيد أبو ضرار يتناول طبقه المفضل من المكرونة ذات الصلصة الحمراء من يديها. فكر فيها كثيرًا ثم تزوجها لتخدمه وترعى شئونه، وفى فترة حياته معها كانت الزوجة الصغيرة تسيِّره وتوجهه لما تحلم به من غنى حُرمت منه، فاستطاع تحقيق مكاسب كثيرة. وكان من أبرز هذه المكاسب شراء الونش الروسى حينما عرضه صاحبه للبيع، وتم لها توسعة البيت وتجديده.

كانت الزوجة (نادرة) صغيرة السن جميلة، شبقة، فوارة دائمًا، ولم يكن الزوج العجوز يستطيع وقف جريان نهرها الثائر فلم تشعر معه بالسعادة على الرغم من علامات الثراء التى بدأت تغزو بيتها، فهى تحلم بالمولود الذى يأتيها لتكون أمًا. لكن أنى لها ذلك وزوجها لايستطيع معها شيئًا مع كبر عمره الذى أرعش يديه فابتعد عن قيادة الونش وسلّمه إلى أبى الغيط، وفضّل مراقبة العمل حتى أصابته الشكة الإصابة القاتلة. ولم يكن الزوج العجوز المرتعش يدرى بأن زوجته المحرومة من رحيق الحياة قد شغفت حبًا بسائق ونشه الذى كثيرًا مادعاه لبيته، ولم يكن السائق أمينًا مع معلمه فزاغت عيناه نحو امراته الجميلة التى ملأته نشوة فهزّت قلبه وشغفته حبًا. واستطاعا الاثنان بعيدًا عن أعين الزوج المطمئن اختلاس القبلات والأحضان الملتهبة، واللقاءات السرية حتى ذاقا العسل المحرم معًا. وأحسا مع الأيام أن حياتهما مرتبطة معًا فأصبحا غير قادرين على استمرار مواصلة حياتهما تلك فصمما على أمر استطاع أبو الغيط وحده تحقيقه.

* * *

قال أبو الغيط: سأقيم لكِ فرحًا لم تشهد مثله القبارى ولا الورديان ولاحتى المنشية. سأحضر فى الحفل بدرية السيد وماهر العطار وأبو دراع ومحمد طه أيضًا. سأقيم صوانًا كبيرًا وأملأ الشارع الكبير وشارع المكس بصوانى اللحم ورص المعسل والبيره... و....

قاطعته نادره:

- كفى.. كفى ما كل هذا ياأبو الغيط ياضاحى.

رد أبو الغيط:

- هذا لاشىء بالنسبة لك ياست الكل..

أنا بعون الله سأقيم حفلاً إسكندرية بجلالة قدرها لم تر مثله.

ضحكت نادرة فى دلال ثم قبّلته قائلة:

- آه... أنا موافقه على الزواج آه، لكن أريدك أن تغير اسمك.

بهت أبو الغيط وهو يسألها:

- أغير اسمى.

ردت:

- نعم.. نعم.. بدّله.. غيّره.

سألها:

- أبدّله.. لماذا؟

قالت:

- هل يوجد رجل يسمى نفسه (أبو الغيط)

قال ضاحكًا:

- ياست الكل أنا لم أسم نفسى. الله يرحمه (أبويا) هو الذى سمانى «أبو الغيط» لأن أمى ولدتنى فى الغيط لما كانت تساعده زمان. لكن صبرك على. فى الميناء المعلم أبو النيل معلم كبير

(بيوضب رجاله) وأيضًا المعلم أبو الليل سبع الرجال تاجر المخلفات و........

قاطعته نادرة :

- آه لكن أنا لا أحب أن يكون زوجى اسمه (أبو الغيط) ولا حتى (أبو النيل).

قال موافقًا:

- خلاص.. أغيّر اسمى.. ينفع (أبو دومه) وإلا (أبو الروس) أحسن.

صاحت:

- لا أبو الروس ولا أبو الأمريكان.

أردفت فى حدة:

- يارجل أقول لك غيّر (أبو الغيط) تقول لى أبو دومه وأبو قردان.

قال يائسًا:

- أى اسم تريدين ياست الكل؟

شردت بذهنها قليلاً ثم قالت:

- تعرف بطل السيما عمر الشريف، مارأيك تسمى نفسك عمر الشريف، واللا يحيى شاهين، عماد حمدى.. أسماء حلوه.

قاطعها:

- مهلاً.. مهلاً هل سأعمل فى السينما أم فى المينا هل تريدين أن يضحك علىّ الناس فى البحر وأكون مسخة بينهم.

شردت مرة أخرى ثم قالت:

- أقول لك نتزوج ونذهب إلى الحج وتصبح الحاج محمد أبو الغيط.

ضرب كفيه بعضهما ببعض وهو يقول منتشيًا :

- حلو.. الحاج محمد أبو الغيط تمام ياحلاوه.

لكنها تراجعت:

- لكن أبو الغيط أيضًا موجود فى الاسم

صاح فى غضب:

- حيرتينى

صاحت فرحة:

- وجدتها.. ألست أبو الغيط ضاحى وأنت أحسن وناش فى البحر.

قال مزهوًا:

- لايوجد وناش فيك يا إسكندرية مثلى

أردفت فى فرحتها:

- فلتكن ضاحى البحر..

*

أوراق متفرقة من حياة ضاحى البحر

● **ورقة أولى:**

لا أحد يعرف على وجه اليقين متى نزح مع أبيه ضاحى الجرجاوى إلى الإسكندرية. كان طفلاً مهملاً، يرتدى جلبابًا قديمًا ممزقًا، يحوم الذباب حول عينيه فلا يهشه، يتركه يرعى فى حقل عينيه، يتدلى بربوره من أنفه فلا يمسحه، يتركه ينطلق كنهر، إنه مل الهش والمسح، أو كأنه ألف هذه الأشياء. قدماه حافيتان متسختان على الدوام، يمسك بيد أبيه ليصعد معه قطار الصعيد القادم من أسوان متجهًا صوب الإسكندرية التى سمع عنها ضاحى الجرجاوى كثيرًا من أقاربه ورفقائه الذين سبقوه إليها من قبل والذين أيضًا هاجروا إليها من العرابة وجرجا، وجزيرة شندويل. هاجروا إلى الإسكندرية، عملوا فى مينائها حمّالين وعتّالين وتبّاعين وبائعين، فامتلكوا المال الكثير وتاجروا فى الأخشاب والحديد، حتى أصبحت لهم مكانة فى بلدانهم وقراهم ونجوعهم

وكفورهم ونزّاتهم، فلماذا لايكون هو الآخر واحدًا مثلهم. هاهو يجر خلفه أكبر أبنائه، (أبو الغيط) ليعمل بجواره يكسب قرشه ويتعود على العمل، ثم يجلب بعده بقية الأفراد. جلس ضاحى الجرجاوى وولده جواره يتطلعان من نافذة القطار، وقد امتلك الابن العجب مما يراه من ناس وأراض واسعة وبلاد غريبة، أما الأب فامتلكته الحيرة والخوف مع الدهشة والأمل فى المستقبل، فهذه أول مرة يترك فيها بلده مهاجرًا. يفكر كثيرًا عما يخبئه له القادم، ويفكر أكثر فى المال الذى سيمتلكه. يبنى به مستقبله ومستقبل أسرته ويعود بعد ذلك إلى بلده ثريًا يمتلك المال والعقار من بعد سنوات فقر وعوز وحاجة ومد ذات اليد لكل من هبّ ودبّ.

* * *

● ورقة ثانية :

فى الورديان استطاع ضاحى الجرجاوى هو وولده أبو الغيط الوصول بعد أيام وليال فى سفر وجوع وسؤال الناس، فكثيرًا ما جلسا فوق أفريز الطريق مادين أيديهما لينالا قروشًا من المارة يتقويان بها. الأب خطّط لرحلة الهجرة منذ وجوده فى قريته، وصمم فى عزم وقوة ألا يعود هو وابنه إلا وقد امتلكا ما لم يمتلكه أحد قبلهما من هؤلاء النازحين. حينما خرجا من البلدة كانا أعميين يسافران إلى بلاد مجهولة وغريبة.

(هامش الورقة الثانية)

(إنهما لايعرفان القراءة والحساب)

* * *

● ورقة ثالثة قديمة:

عمل ضاحى الجرجاوى فى ميناء الإسكندرية حمّالاً هو وابنه. سكنا فى حى الورديان القريب من الميناء ومركز تجمع الصعايده النازحين من سوهاج وأسيوط والمنيا والعاملين فى الجمرك. سكنا فى حجرة ضيقة مظلمة أسفل سلم أحد البيوت المتهالكة بشارع الإسناوى.

* * *

مرت سنوات والابن يكبر رويدًا .. رويدًا وقد خبر الحياة وعرف أسرار الميناء والبحر، فالأب يحمل الأجولة من الرصيف إلى المركب ومن المراكب إلى الرصيف ثم إلى المخازن ثم إلى السيارات الخارجة من الميناء. والابن بسكين حادٍ فى يده يمزق الأجولة ليكشف مابداخلها، فإذا وجدها ذات قيمة غرف منها غرفات بيديه وملأ جلبابه الذى صنعه خصيصًا ليحمل فيه المزيد والمزيد، فالفتحات به كثيرة والجيوب فى كل مكان، ومع الجلباب

العجيب سروال صنع من القماش الخام (العبك) بشكل خاص ليضع فيه مايريد أحفاءه عن أعين العسكر. وكم من أجولة سكر استطاع تمزيقها وملأ سرواله وجلبابه منها ثم يخرج من باب الميناء منتفخًا ويداه خاويتان فيمر من البوابة دون لفت نظر الحرس. ثم يهرول إلى حجرته المظلمة ليقف وسط (طشت) صاح نازعًا عن جسده السروال والجلباب فيتساقط السكر داخل (الطشت) ثم يخرج من وسطه بعد أن يمتلأ بالسكر ليعيد تعبئته فى أكياس وأجولة صغيرة ويعود سريعًا إلى الميناء ليكرر نفس العمل. وفى الليل بعد انتهاء العمل بالميناء يحمل أجولته وأكياسه لبيعها لدى دكاكين ومحلات البقالة والمقاهى فيقبض الثمن الذى يخبئه فى (بلاص) فخار قديم بحجرته القديمة المظلمة.

كثيرًا ما كان يرى السيارات المحملة بالأخشاب (سويدى - بياض - زان - أرو) خارجة من الميناء فيسرع خلفها متسلقًا مؤخرتها لينزع اللوح وراء اللوح ويقفز فوق الأرض بالألواح ويسرع لبيعها عند تجار الأخشاب والنجارين ليتسلم ثمنًا يضعه فى (بلاصه) القديم. كل هذه المشاهد كانت تجرى أمام عين الأب المرهق من قسوة عمله فلا ينهره ولا ينصحه بل يبتسم ضاحكًا له وهو يستمع لمغامراته فخورًا ومزهوًا ومشجعًا له: عفارم عليك ياعفريت.. ابن أبوك..

● **ملحوظة:**

فى خلال هذه الفترة ترك ضاحى الجرجاوى ولده أبو الغيط أيامًا مسافرًا إلى بلدته بالصعيد ليحضر زوجته وأولاده كيما

يعيشوا جميعًا فى الإسكندرية بعد أن فتحت لهم أبواب الرزق والسعة.

* * *

عندما ضاقت الحجرة المظلمة بالأسرة قرّر الأب الانتقال إلى حجرة أرحب وأوسع مع الاحتفاظ بهذه الغرفة لتكون مخزنًا لأشيائهم التى يجلبونها من الميناء. وقد علّم الأب أولاده كيف يجمعون الأشياء الصغيرة والقديمة ذات القيمة مثل قطع الحديد، والخشب، والمسامير وقطع الصاج والعلب الفارغة، ثم يتم تخزينها داخل الحجرة المظلمة ليباع كل شىء بعد ذلك لتجار الخردة وتجار الخشب، ثم انتقلوا إلى حجرة جديدة بالبيت المجاور. وحينما اطمأن الأب على أولاده، وأيقن من إتقانهم عملهم الذى علّمهم إياه انشغل فكره بشىء ملأ عقله وكيانه فجاءهم ذات يوم قائلاً:

- أفكر فى شىء أريد رأيكم فيه. نحن سبعة أفراد والرزق هنا وفير وعددنا قليل. ما رأيكم لو نزيد عددنا الآن فردًا آخر. لا.. لاتتعجلوا وتسألوا وتظنوا. هذا الفرد ليس غريبًا علينا، إنه منا وسيكون سندًا لنا. سيعاوننا فى عملنا وسيزيد من دخلنا ومكسبنا. وهذا شرطى الوحيد لإضافة هذا الفرد إلى أسرتنا. ثم نظر إلى ولده (أبو الغيط) باسمًا وأردف هذا سيُمتع أبو الغيط ويسعده كثيرًا. ثم صاح تتعجلون معرفته الآن إنها (سنية) ابنة خالتكم قررت أن يتزوجها أبو الغيط وتعيش معنا.

(هامش الورقة الثالثة)

لم يرفض (أبو الغيط) زواجه من (سنية) بل فرح كثيرًا، فهو يعشق النساء منذ أن جاء إلى الإسكندرية ورآهن فى الشوارع والطرقات وشرفات المنازل بملابسهن النظيفة الملونة وأجسادهن البضة، ووجوهن المشرقة وشفاهن الحمراء الجميلة، وعجيزاتهن الممتلئة حيوية وتناسقًا.. فسافر مع أبيه ليحضر (سنية) من بلدته ليعيش معها حياتها الجديدة..

* * *

انتقلت الأسرة نقلة جديدة وسكنت فى سكن جديد يتكون من حجرتين. واحدة لأبى الغيط وعروسته سنية، والثانية لباقى الأسرة. ومنذ اليوم الأول لمجىء سنية للمدينة الجديدة سألوها:

- ما الذى ستفعلينه لتزيدى من دخلنا؟

فقالت على الفور:

- أبيع

سألوها:

- وأى شىء ستبيعينه ياسنية؟

- الطعام

- أى طعام؟

- أستطيع عمل (القادوسية) بالسمن والعسل وبيعها للناس فى الصباح والمساء.

أضـاءت وجوه الأسـرة لهذه الفكرة فهللوا لهـا وصـفقـوا، وانهـال أبو الغـيط عليهـا تقـبيـلاً لفكرتهـا الجـديدة. وهى منتشـيـة فـرحة لإصابتها هدفًا جديدًا فى حياة الأسرة. وردت الأم مشجعة:

- وأنا سأساعدك فى إعداد القادوسية.

* * *

نجحت سنية وحماتها فى بيع القادوسية لأهالى الورديان وعمال الميناء، وقد بُهر الناس بهذا الطعام الجديد اللذيذ الوارد إليهم من أعـمـاق الصـعـيـد. وأعـادت القـادوسـيـة للصـعـايدة فى الورديان والقـبـارى ريح حـيـاتهم فى قـراهم ونجـوعهم فـانتشـوا لهذا الغـزو الغذائى الذى احتل الإسكندرية. وتبسمت الأيام لأبى الغيط فارتدى المـلابس الجـديدة النظيـفـة، وجلس على المـقـاهى فى فيـه مـبـسم (الشيشة) وناداه الناس بالمعلم أبو الغيط.

* * *

فى عـز هذا النجـاح الذى حـازته الأسـرة ونالتـه بتفـوق جـاءهم فجـأة خبر حادث (ضاحى الجرجاوى) أثناء حمله جوال الدقيق من فـوق المـركب. زلت قـدمـاه من السلم فـسـقط وفـوقـه الجـوال فـفـارق الحياة.

ورغم هـذا الحـادث لـم يتـوقـف عـمل الأسـرة والأولاد فـواصلت (سنية) عمل قـادوسيتها وفطائرهـا، وظل الابن الثانى (حمدتو) يبيع (المهلبية) فى الشارع. أما أبو الغيط فقرر العمل داخل الميناء فوق

أحد الأوناش؛ لخشيته أن ينتهى كما انتهى أبوه قبل تحقيق أحلامه وأمانيه والعودة لقريته بالمال والعقار..

* * *

● ورقة أخيرة من الأوراق المتفرقة:

تعرف أبو الغيط على المعلم سيد أبو ضرار صاحب الونش الروسى وعمل لديه تباعًا. يقوم بغسل الونش وتنظيفه وتزييته ودفع ركائزه وشك الهوك فى الشكة التى يقوم برفعها الونش.

ومع الأيام اطمأن أبو ضرار إلى تابعه أبو الغيط فجعله ابنًا له خاصة وأنه لم ينجب. أدخله بيته، أجلسه مع زوجته (نادرة) دون حرج وذات يوم قال له:

ـ نحن أكلنا عيش وملح معًا، واعتبرك كابنى وزوجتى (نادره) اعتبرتك أخ لها. لنكن جميعًا إخوة فلنحافظ على أنفسنا. لا أحد يضمن حياته ولا مستقبله.

يصيح أبو الغيط فى تأثر:

ـ أنت بدل المرحوم أبوى ياعم أبو ضرار، يكفى أنك شغلتنى معك فى الونش وأنا لا أعرف شيئًا فيه.

وو.. وإذا كان على العيش والملح على رقبتى. على رقبتى هذه والست حرمكم فى مقام أختى.

قال أبو ضرار باسمًا:

ـ نقرأ الفاتحة.

صاح أبو الفيط:

ـ الفاتحة على الخائن والظالم وابن الحرام.

وقرأ الثلاثة الفاتحة..

*

- ٣ -

فى بيت الحاج ضاحى البحر تقطن نور مع أمها فى حجرة بالدور الأرضى يملؤها سرير ودولاب وكنبة عربى وفروة خروف فوق الأرض. الحجرة ضيقة ومظلمة لا تعرف الشمس طريقًا لها. بجوارها حوش صغير تربى نور دجاجها وحمامها الذى تعده للبيع فى السوق لتتعيش هى وأمها من ربحه. جميلة هى ويتيمة. فقدت كل أهلها فلم يبق سوى أمها التى أُصيبت بالكبر والعمى. وقد عطف عليهما أهالى الشارع كثيرًا خاصة الحاج ضاحى البحر الذى أعطاهما حجرة فى بيته بالمكس دون أن يسألهما إيجارًا وكثيرًا ما كانت أم نور تمد يدها بالإيجار إليه، لكنه كان يرفض استلامه لمعرفته بعوزهما. وكان الحاج ضاحى البحر يزورهما فى المواسم والأعياد ومعه الهدايا أو يرسلها أحيانًا إليهما خاصة حينما تُذبح العجول وتُوزع اللحوم.

قضت نور صباها فى هذه الحجرة المظلمة. عاشت مرارة الحياة مع أمها حينما وفدت بابنتها مهجّرة من السويس أثناء حرب يونيو التى فقدت فيها الأهل والجيران. انتقلت مع أمها للإسكندرية، فقذفتها أمواج الأقدار إلى المكس. عطف عليهما كثيرٌ من الأهالى، واستطاعت الأم العمل فى بعض البيوت مقابل قروش قليلة وباعت الابنة الدجاج والبيض فى السوق.

ومع الأيام ومع الحزن ومع الفقر أصيبت الأم بمرض فى عينيها أفقدها البصر. تتذكر نور ذلك اليوم جيدًا. صرخت أمها وسط الحجرة..

- نور أنا لا أرى..

كأن سقف الحجرة سقط فوق رأسها ودفنت بين أنقاضه. صرخت نور وهى تحملق فى عين أمها دون أن ترى شيئًا، ثم أسرعت خارجة إلى الشارع تستنجد بالجيران الذين أسرعوا بها إلى مستشفى فاروق الأول بوابور المياه. أعطاها الطبيب دواءً ونصحها بإجراء عملية فى عينيها، ولم يأت الدواء الجديد بجديد ولم تستطع الأم إجراء العملية فضاع البصر.

* * *

كانت نور تكبر وتنمو فى هذه الحجرة حتى أصبحت ممشوقة القوام. شعرها الأسود الداكن يتدلى فوق كتفيها فى ضفيرتين كبيرتين غليظتين. شفتاها حبتان من الفراولة اللذيذة. كان كل من

يراهما يتعجب لحكمة الخالق الذى وهب كل هذا الجمال وخلقه فى هذه التربة المظلمة القاتلة.

كم مضى عليك من العمر؟ لا أحد يعلم. لكن الأم تقول:

ولدت نور أثناء حرب ٥٦ فى السويس. كانت المدينة مظلمة ودوى القنابل يرج الأرض وأنا أصرخ ألمًا وتوجعًا. والنساء تساعدنى فى خوف وهن يدعون الله بأن يأتى بالفرج سريعًا. وجاءت نور فأضاءت المدينة.

* * *

تحب نور منذ صغرها ملاحظة الطيور وهى تمر فى السماء بأسرابها العديدة، تلوى عنقها تجاه السحاب وتقلب النظر فى السماء تراقب السرب حتى يبتعد بعيدًا.. بعيدًا..

فى حجرتها المظلمة وبجوار الباب الخشبى علَّقت نور صورة منزوعة من مجلة. صورة طفلة فى العاشرة من عمرها يملأ النمش وجهها. ترتدى بلوزة حمراء وجيب أسود يعلو ركبتيها. ساقاها البيضاوان ينتهيان بحذاء أسود وجورب وردى تتهدل إحدى فردتيه فوق الحذاء فى إهمال. خلف الطفلة الصغيرة أشجار وزروع خضراء وبركة مياه يسبح البط والأوز بها، تحتضن الطفلة الصغيرة أوزة كبيرة.. كبيرة فى قوة. الأوزة مرفرفة الجناحين فى محاولة للتخلص من حضن الطفلة الدافئ. تحب نور رؤية هذه الصورة. تقف أمامها كثيرًا. تحب الأطفال وتعشق الطيور. ترى نفسها فى هذه الطفلة فتبتسم حينما تراها..

* * *

قالت أم صبحى:

. هذا الرجل أشك فيه؟

قالت أمى:

. الحاج ضاحى البحر رجل طيب وخيِّر

قالت أم صبحى:

. هذا ما يبدو للناس، لكن قلبى يحدثنى بشىء مهيب تجاهه. وحاسة أنه سيموت إن شاء الله مثلما مات المعلم حسان. مات والدود كان يخرج من بطنه دود وراء دود. الأطباء احتاروا فيه فوضعوه فى صندوق زجاج وقفلوه عليه لغاية ما مات. ضاحى أيضًا سيموت مثلما مات المعلم حسان. أصله كان مثله. الاثنان يشبهان بعضهما.

قاطعتها أمى:

. ياشيخه وحدّى الله.

ردت أم صبحى:

. لاإله إلا الله.

أكملت أنا:

. محمد رسول الله. قولى لى يانينا أم صبحى ما الذى يحدثك به قلبك ناحية الحاج ضاحى البحر؟

قالت أمى فى غضب:

- ألم تسمعى ما قالته ؟!

وقالت أم صبحى:

- إنه (بوشين).. نعم رجل (بوشين)

ضحكت وأنا أردد:

- كل الناس الآن (بوشين)

قالت أمى:

- يانور لاتسيئى الظن بالناس

قلت:

- ياأمى وحدى الله

قالت:

- لا إله إلا الله محمد رسول الله يابنتى

قلت لهما:

- أقوم أعمل لنينا قهوة لترى لنا الفنجان

ضحكت أم صبحى قائلة:

- هاتى البن وأنا أعملها بنفسى

ردت أمى باسمة:

- تسلم إيدك ياغالية

قلت:

ـ القهوة من إيد نينا أم صبحى تجنن

ضحكت. فردت أم صبحى بضحكة مماثلة وهى تقول:

ـ ربنا يكفيك شر الطراوة..

وضحكنا نحن الثلاثة ضحكًا متواصلاً

* * *

فى يوم المولد حمل بين يديه عروسة المولد الحلاوة. كانت العروسة حمراء اللون. ترتدى فستانًا من الورق الكوريشه الملون. أحمر. أبيض. ازرق. أصفر. أخضر. ألوان. ألوان. ألوان وخلف ظهرها مروحة ورقية بألوان زاهية. بنفسجى. برتقالى. بنى. ألوان وألوان. كنت فرحة بها. عندما دخل علّى بها صحت له:

ـ ماهذا؟

قال:

ـ عروسة المولد. كل سنة وانت طيبة. اليوم مولد النبى.

تناولتها منه. قلت:

ـ هذه أول مرة فى حياتى أمتلك عروسة مولد كبيرة وجميلة

قال:

ـ أنت أجمل عروسه

ضحكت وأنا أضم عروستى فى صدرى

ـ لاتعود نفسك على شراء مثل هذه الأشياء. لقد كبرت ولم أعد طفلة.

رد فرحًا:

- كل مولد سأحضر لك عروسة أكبر وأجمل.

وضعت عروستى فوق الرف الخشبى برفق وحذر

- حينما يأتى الأولاد تشترى لهم العرائس

قال:

- حينما يأتى الأولاد أشترى لهم الفرسان. لكل ولد فارس يمتطى حصانًا وشاهرًا سيفه.

سألته:

- والعرائس.

قال باسمًا:

- لكل بنت عروسة جميلة.

فى غفلة منى قبّلنى فى خدى قبلة سريعة. دقَّ قلبى فرحًا فابتعدت عنه وأنا أنظر إليه فى غيظ لذيذ.. إياك وهذه الأفعال.

- أحبكِ يانور..

- عندما نتزوج.

- متعجل أنا

- عندما نتزوج.

- من الآن أريد الزواج منكِ..

دخلت أمى علينا الحجرة وهى تقول عند عتبة الباب

ـ أشم رائحة عبودة عندنا

فصاح:

ـ والله ياحماتى سرك باتع

قالت له:

ـ ربنا يبارك لكما ياابنى فى بصركما وبصيرتكما.

جلست فوق الكنبة جواره ورحت أشعل (وابور الجاز) لأعد لهما براد الشاى.

قال عبوده لأمى:

ـ ألم يحن الوقت ياحماتى لآخذ عروستى

قالت له وعيناها مصوبة نحوى دون أن ترانى

ـ حينما يشاء الله ياابنى ستكون فى بيتك

صاح فى لهفة:

ـ متى؟

قالت:

ـ اصبر قليلاً

قال:

ـ على أى شىء أصبر وأنا جاهز الآن

قالت له باسمة:

ـ هناك أشياء سنجهزها لنور وبعدها تأخذها

قال مصممًا:

ـ لا أريد شيئًا مع نور

قالت له:

ـ ياابنى عيب. لابد من أن تدخل نور بيتك بشوارها. كلها أيام..

صاح:

ـ أيام كأنها سنوات

قالت:

ـ ربك كريم

قدمت لهما كوبين من الشاى وأنا أحملق فى عينيه فأحسست بما يدور فى أعماقه من رغبة فى الزمجرة والصراخ، وصرَّ على أسنانه، لكنه كان صبورًا. فصمت وصبر وفكر كأنه يخطط لأمر ما.

ابتسمت فى عينيه لأزيح القلق عنه فأعاد ابتسامتى بابتسامة أخرى.

* * *

لم يعد أبو الغيط ذلك الطفل الممزق الجلباب المعمص العينين صاحب البربور الدائم. لم يعد أيضًا ذلك الشاب الذى كان يملأ

جيوب جلبابه بمسروقات الجمرك والميناء، لم يعد ذلك الشقى الذى يتسلق ذيل السيارات المسرعة كى يسرق منها لوحًا خشبيًا يبيعه بقروش قليلة. لقد تبدل الرجل وتطور تطورًا سريعًا ضمن تلك التطورات السريعة التى مرت بها البلاد فى عصر الانفتاح وسياسة الباب المفتوح، فانفتح الرزق على مصراعيه لكل العاملين فى الميناء من أمثاله واستطاع مع رفافه وأقاربه خاصة (عثمان) من إخراج كل ثمين وممنوع من أبواب الجمارك وأسوار الميناء.

ومع جرى الرزق السريع الذى جرى جرى الوحوش تبدل الرجل. أصبح يرتدى أشيك الملابس الإفرنجية فى المناسبات ويرتدى الملابس العربية من قفطان وعباءة عند عقد الصفقات. جلب مُعلمة لتعلمه الكتابة والقراءة. حاولت معه كثيرًا لكنه لم يتعد حدود التهجى ومعرفة الأرقام. امتلأ جسده وصلب عوده وفتلت عضلاته. أضحى ينال الاحترام فى كل مكان يذهب إليه بشكله الذى ترى فيه الوجاهة أو ترى فيه الطيبة والإيمان. ونودى به الحاج ضاحى البحر. عُرف فى أحياء الجمرك وشارع النصر والورديان والقبارى والمكس ووادى القمر والدخيلة بأياديه البيضاء على الجميع وبإنشاء المساجد وتقديم الخدمات العامة لكل التجمعات. لم يرد سائلاً سأله حاجة. حتى نور وأمها امتدت يده الطيبة إليهما ففى اليوم الذى أصاب المرض المفاجئ أم نور ونقلها الجيران إلى مستشفى القبارى العام كانت نور فى السوق. عندما عادت لم تجد أمها فى حجرتها فظنتها تزور أم صبحى كعادتها. جلست بالحجرة مطمئنة تبدل ملابسها أمام المرآة تنزع ملابسها قطعة قطعة

وترمى بها فوق الكنبة ثم تتطلع إلى المرآة. فى هذه اللحظة أحست حركة بباب الحجرة، صاحت:

- ادخلى يا أمى.

لقد جئت من السوق ولم أجدكِ. أين كنتِ؟ كان ظهرها لدى الباب، فلم تر الحاج ضاحى البحر الذى وقف بفم الباب يتطلع إليها من الخلف. لقد رأى وقتها مالم يكن يحلم به.. قوامًا ممشوقًا.. وعجيزة بيضاء متناسقة فارتعشت يداه، وابتلع ريقه، وعندما أدارت نور وجهها شطر الباب أبصرته أمامها وقد تعرَّت أمامه فانطلقت منها صرخة كانطلاق رصاصة من بندقية:

- ياخرابى.. الحاج ضاحى.

فى سرعة حاولت ستر نفسها بملابسها الملقاة فوق الكنبة.

لكنه فى هدوء زحف نحوها كثعبان:

- ألم تعد أمك بعد؟

قالت فى خوف من الثعبان:

- أمى.. لا.. إنها عند نينا أم صبحى.

قال وهو يواصل زحفه نحوها فى تربص:

- لقد نقلوها إلى المستشفى.

ضربت نور صدرها بكفها فتساقطت ملابسها التى بيدها وانكشف عريها من جديد:

ـ المستشفى؟

اقترب منها الحاج ضاحى البحر وجهًا لوجه. أثارته قامتها الرشيقة وبعثت عيناها الواسعتان السوداوان فى نفسه إثارة وفى تلذذ مثير راح يحملق فى أخدود صدرها المكتنز بكنوز مملكة سبأ:

ـ لا تخافى إن شاء الله سليمة.

ارتعدت، حاولت ارتداء ملابسها فى سرعة متلهفة وهى تردد:

ـ أريد الذهاب إليها ياحاج.

انهمرت دموعها فى بكاء سريع. بلع الحاج ضاحى البحر ريقه مقتربًا منها أكثر وأكثر حتى شم رائحتها الطيبة فمد ذراعيه بطولهما. سقطت العباءة السوداء المطرزة بخيوط الذهب من على كتفيه فوق الأرض. ضم نور فى صدره. حاولت الإفلات برفق. رد مخادعًا:

ـ لاتبكى ياابنتى.. لاتبكى.

ازدادت الدموع انهمارًا وازداد ضم نور لصدره ثم انهمرت قبلاته على الوجه الأبيض الحزين فصادفت شفتاه حبتى الفراولة فقضمها فأحس حلاوتهما فعصرهما فى صدره. شلت المفاجأة نور. حاولت بكل قوتها الابتعاد والفرار لكنها لم تستطع هروبًا من شدة ذراعيه، واعترته نشوة كبيرة شبت فى أوصاله كالحريق. كان قويًا وكانت ضعيفة فخارت قواها وسقطت فوق العباءة وسقط الرجل معها...

ثم تركها مثل طير أصيب بعيار نارى. طير مسكين صغير. نظرت إليه وقد تجلَّت كل روحها الجريحة. نظرت إليه تهز رأسها باكية.

لماذا فعلت هذا!؟.. لماذا!؟ اعتدل الرجل وارتدى العباءة وحين هم بالخروج قال لها:

- لاتبكى سأتزوجك.

انفجرت واقفة وسط الحجرة فى عويل طويل ونوبة من التشنج المؤلم الذى غطى وجهها الأبيض الجميل، واهتز جسدها العارى ألمًا من البكاء والحزن. وقع بصرها على عروسة المولد الجميلة فوق الرف الخشبى العالى فامتدت إليها يدها لتقذف بها فوق الأرض فى قوة فهشمتها وارتمت فوق بقايا العروسة المتناثرة.

* * *

كان الأطفال فى الشارع يلعبون ألعابهم (أولنا إسكندرانى) و(السيجة) حينما عادت أم نور من المستشفى مع الجيران الذين رافقوها. رأت أم صبحى هرولة الأولاد أمامها وصراخهم فصرخت فيهم ليفسحوا الطريق فتفرق الأولاد، وتناثروا بعيدًا. أحست نور بجلبة النساء على باب البيت فأسرعت إلى أمها باكية. ما بك يا أمى. سلامتك؟

احتضنت الأم الضريرة ابنتها مقبلة. بل سلامتك أنت ياابنتى.

ارتعدت نور فتراجعت مبتعدة عن أمها محدثة نفسها.

- كأنها رأت ماجرى لى.

* * *

استيقظت الأم من نومها فزعة فاستعاذت بالله من الشيطان الرجيم، واستقيظت نور على إثر فزع الأم.

سألتها فى حنان:

- ما بك يا أمى؟

ردت الأم :

- كابوس والعياذ بالله

قالت نور:

- خير إن شاء الله

ردت الأم :

- حلم غريب يا ابنتى

قالت نور :

- ربنا يجعله خيرًا إن شاء الله

ردت الأم :

- لقد فزعت من أجلك يانور

قالت نور :

- من أجلى أنا

ردت الأم :

ـ نعم

قالت نور :

ـ قصيّه لى

ردت الأم :

ـ رأيتك عريانة فى الحلم

ضمت نور يديها فوق صدرها بلا شعور.

قالت أمها تستكمل حديثها:

ـ كلب كبير أسود يشدك من شعرك وأنتِ فوق الأرض من غير ملابسكِ. الكلب الأسود يجركِ من شعركِ وأنت تصرخين.. تصرخين.

ارتعدت نور فقالت لأمها:

ـ كابوس استعيذى بالله منه.

وانهمرت فى بكاء مكتوم.

* * *

فى صباح اليوم التالى لم تذهب نور إلى السوق كعادتها، ظلت نائمة فوق فراشها. عيناها تحملقان فى سقف الحجرة. هزتها أمها بيدها.

ـ نور. نور انهـضى لتـذهبى للسـوق. الشـمس مـلأت الأرض. قومى.

أجابت نور فى كسل:

ـ لم أنم يا أمى.

سألت الأم فى خوف:

ـ خير ياابنتى

طمأنتها:

ـ أبدًا عندى قلق وتعبانة اليوم. لن أذهب إلى السوق.

قالت الأم فى حزن:

ـ على راحتكِ ياابنتى.. نامى.. خذى راحتك.

* * *

كانت أمى تطلب منى أن أذبح لها الدجاج فكنت أرفض، تحاول هى أن تحثنى على الإمساك بالسكين والتكبير، لكنى كنت أرفض بشدة.

كانت تقول لى:

ـ سأذبحها أنا.. أمسكى معى.

رغم فقد بصرها كانت تذبح الدجاج وتقذف به بعيدًا حتى ترفرف الدجاجة ولا تتسخ ملابسها بالدماء. أما أنا فأحيانًا كنت أغمض عينى فلا أبصر شيئًا مثلها، وأحيانًا كنت أشيح بوجهى فى

الاتجاه الآخر، وكثيرًا ماصرخت من رؤية الدم المنبثق الذى كان يملأ الحوش فتضحك أمى مرددة.. هذا ذبح حلال إن شاء الله. هيا ضعيها فى صفيحة الماء الساخن وانزعى ريشها. وأنتظر الدجاجة حتى تهدأ نهائيًا فأحملها بأصابعى فى خوف من دمها المنهمر. أغطسها فى الماء المغلى وأبدأ فى نزع الريش المبلل. ريشة. ريشة وأنا أكتم أنفاسى حتى لا أشم رائحتها، كنت أخشى رؤية الدم حتى لو كان دم الطيور المذبوحة. أما الآن فأنا لا أخشى رؤية دمه، فدمه حلال كدم الطيور التى تذبحها أمى.

* * *

ظهيرة يوم الجمعة وقد تجمع الثلاثة داخل حجرة أم صبحى يستمعون لبرنامج (على الناصية) وآمال فهمى من المذياع الخشبى الكبير الواقف فى أحد الأركان. نظرت أم صبحى نحو نور فوجدتها قد أُطفئت. مدت يديها فى هدوء تتلمسها، فانتفضت مذعورة. صاحت أم صبحى مبسملة:

- بسم الله الرحمن الرحيم .. ما بكِ يا نور يا ابنتى؟

ردت عليها فى هدوء كاذب:

- أبدًا يا نينا كنت سرحانه

أجابتها:

- لا.. أنا مراقباكِ. أنت متغيرة يانور. مابكِ وغلاوة مامتك..؟!

اشتركت الأم فى حوارهما.

ـ قولى لها يا أم صبحى إنها متغيرة لأنى حاسة بها وإحساس الأم عمره مايكذب..

قالت نور فى ضيق:

ـ أبدًا أنا متضايقة حبة

صاحت أم صبحى:

ـ لا أنتِ لازم لكِ رقية وتبخيرة من إيد نينا والنبى لأبخرك. أنا عندى بخور جاوى جاى من عند سيدنا النبى محمد (ﷺ) أهدته لى الحاجة (أنصاف) لما رجعت من الحج.

نهضت أم صبحى من جلستها لتحضر عدتها. أحضرت علبة صفيحًا زُينت برسوم ملونة لزهور ونباتات. وأحضرت (سبرتاية) وقطعة صفيح مسطحة بها آثار نار وبخور. أشعلت السبرتاية ووضعت فوق نارها الصفيحة المسطحة ثم نثرت عليها البخور الذى استخرجته من العلبة الصفيح وراحت تتمتم بالاستعاذة والمعوذتين. ثم مدت يدها لتنزع ورقة من دفتر قديم كان جوارها، ونزعت أيضًا إبرة خياطة كانت مرتشقة بحوض جلبابها الذى ترتديه. أخذت تقطع الورقة لتجعلها على شكل فتاة أو عروسة ورق وبالإبرة التى معها راحت ترشق العروسة الورق بها. ملأت جسدها بثقوب أحدثتها بشكشكات الإبرة وهى تردد فى كل شكة..

«رقيتكِ واسترقيتكِ من عين كل اللى شافك ومصلاش ع النبى» رقيتك من عين أمك.

تذكرت أم صبحى أن أمها ضريرة فقالت مستدركة:

لامؤاخذة ياأم نور.. أصل مايحسد المال إلا أصحابه..

جبرت أم نور بخاطرها :

ـ ولايهمك ياأم صبحى المهم نور ونور نور.

أكملت أم صبحى رقيتها..

ـ ورقيتكِ من عين خطيبك ورقيتك من عين أم محمد وأم على، وأم عباس، وأم السيد الدلالة، وأم البورى بياعة السمك ورقيتكِ من كل عين بصاصه (يندب) فيها رصاصة، رقيتك يانور يابنت أمك وأبوكِ من (اللى شافوكِ ومصلوش ع النبى).

ثم وضعت العروسة المثقوبة بثقوب الرقية فوق نار البخور فاحترقت متحولة إلى رماد.

قالت:

ـ قومى يانور خطى فوق البخور سبع خطوات.

نهضت نور وفوق البخور المشتعل رفعت ذيل فستانها وأخذت فى الخطى بساقيها المرمريتين الجميلتين وأم صبحى تعد وتحسب خطواتها:

ـ (الأولة بسم الله، والثانية بالصلاة على محمد بن عبد الله، ثلاثة، أربعة، خمسة).

وبعد الخطوة السابعة وضعت أم صبحى غطاء السبرتاية المعدنى فوق الفتيل فانطفأت النار وتناولت الصفيحة بما فيها من آثار بخور محروق ورماد وورقة العروس. نهضت مبتعدة بها بعيدًا.. سألتها نور:

ـ عنك يانينا.

لكنها قاطعتها.

ـ لا.. سأرمى البخور فى (الكبانيه) حتى لايعثر عليه أحد أو يخطيه أحد بعدك.

قالت أم نور وعلى شفتيها ابتسامة:

ـ ربنا يبارك لنا فيكِ يا أم صبحى.. والنبى طول عمرك طيبة وابنة حلال..

*

- ٤ -

ذات ليلة حكت أم صبحى لنور وأمها حكاية الحاج ضاحى البحر، أصله وفصله قالت لهما:

- لم يكن ضاحى البحر غنيًا. لم يصل للذى وصل إليه إلا بعدما عمل عملته السوداء.

سألت نور:

- أى عملة سوداء تلك ؟

أردفت أم صبحى:

- ضاحى أصله كان وناش على ونش المعلم سيد أبو ضرار. زوج الست نادرة الله يرحمه، وكان اسمه أبو الغيط ضاحى لكنه غيّر اسمه بعدما تزوج الست نادرة.

سألت أم نور:

- نادرة زوجة المعلم سيد أبو ضرار.

قالت أم صبحى:

- نعم فقد تزوجها ضاحى بعدما أسقط البومة فوق رأسه.

سألت أم نور :

- البومة:

- قالت أم صبحى:

- نعم. البومة. بومة الونش الحديد التى تعلق الخطاف وتحمل الحديد.

صرخت أم نور فى ذعر:

- ياساتر يارب

وسألت نور:

- أنا لا أفهم منكِ شيئًا يانينا

قالت أم صبحى:

- بالعربى ضاحى قتله؟

صرخت نور:

- من يا نينا؟

قالت أم صبحى:

ـ يووووه. خليكِ معنا

وأردفت:

ـ أبو الغيط قتل المعلم سيد أبو ضرار وتزوج زوجته وغيّر اسمه.

قالت أم نور:

ـ ياشيخه قولى كلام معقول.

قالت نور:

ـ الحاج ضاحى البحر الرجل البركة الطاهر معقول يا نينا يفعل فعلته هذه إشاعات. إشاعات يانينا. البلد كلها تحلف به وتحسده على ماهو فيه. أمس فتح عيادة وبنى مسجدًا لله. كله لله.

قالت أم صبحى:

ـ لاتصدقونى لكن وشرف زوجى المرحوم عوض أفندى حصل.

* * *

قالت أمى:

ـ سأعمل لكما شاى.

صحت:

ـ لا سأعمله أنا

قالت أم صبحى:

ـ بل سأعمل لكما أنا الشاى

أمى صمتت وركبت رأسها فأخذت تقسم بأغلظ الأيمان ما أحد يعمل الشاى غيرها ثم ابتسمت قائلة:

ـ والا انتم خائفين أنى لا أعرف أعمل الشاى.

صمتتا كسوفًا وخجلاً وتحركت هى تعد الشاى وكأنها ترى كل شىء ثم أردفت أم صبحى حديثها:

ـ .. حينما تزوج ابو الفيط ضاحى بنادرة زوجة المعلم سيد أبو ضرار قال الناس.. قتل زوجها وتزوجها.. كانا متفقين وحينما حجَّ هو وزوجته إلى بيت الله الحرام.. قال الناس.. ضاحى البحر ذهب إلى الحج لشراء اسم له.. وعندما عادا من حجهما انطلقت زغاريد الناس وتهانيهم بالحج المبرور والذنب المغفور وانطلقت الأعيرة النارية وذبحت الذبائح وأنشد المنشدون ورُسمت الصور والرسومات فوق جدران المنزل، طائرة، نخلة، جمل، الكعبة، وحج مبرور وذنب مغفور، وعلى الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.. وارتدى ضاحى البحر الملابس البيضاء وعليها عباءة سوداء بخيوط ذهبية، وفوق رأسه طاقية شبيكة بيضاء وبيده تتدلى مسبحة فوسفورية.

* * *

تركنى أبى ومعى عمر صغير راحلاً بعيدًا عنى. أتذكر يوم لاعودته حينما عادت مراكب الصيد إلا مركبه. كان الوقت شتاءً

يناير ١٩٦٧. كان البحر هائجًا يضرب الصخور بأمواجه فى قسوة وغضب، وقفنا أنا وأمى مع أهالى الصيادين الذين انتشروا فوق الصخور والرمال ننتظر جميعًا عودة مركب أبى. جاء الليل إلينا قاسيًا ونحن نلتف بالملابس ونلتحف بالبطاطين والنار مشتعلة فى أيدى الناس لتضىء للمركب الغائبة التى نحلم جميعًا بعودتها لتشع الدفء حولنا، لكن البرد والصقيع والريح ملئوا نفوسنا بالأسى والخوف وطلع النهار ثقيلاً. ثقيلاً دون أبى وانتظرناه فى اليوم التالى، والأمل يلاعبنا ويراودنا بعودته لكنه لم يعد فانتظرناه فى اليوم التالى والتالى.

هل خطفته عروس البحر وغاصت به فى المياه البعيدة ؟ هل ذهب معها إلى مدينة البحار؟ لابد من أن عروسة البحرخطفت أبى ليعيش معها فى مدينتها المسحورة. وبكيت بشدة. أريد أبى أريد أبى. وشعرت بالخوف عليه من سحر عروسة البحر. ماذا ستفعل بأبى هل أحبته ؟ هل تزوجته ؟ أم أنها ستعذبه وتسجنه فى سجن البحر العظيم ؟ صرخت بصوتى الذى لم يسمعه أحد جوارى مع هدير الأمواج وصيحات الأهالى ودعائهم.. صرخت منادية على عروسة البحر كى تعيد لى أبى :

- ياعروسة البحر أرجوك اتركى أبى، أرجعيه لى ولأمى المسكينة، (أبوس إيدك) ياعروسة البحر نريد أبى.. نريد أبى ياعروسة البحر.. ياعروسة البحر.

لكن الخبر اليقين جاءنا وتصايح به الأهالى. لقد انتشل خفر السواحل جثث الصيادين. آه ياعروسة البحر تركتِ لى أبى جثة. قتلتيه. وكانت جثة أبى مشوهة. أتذكر هذا المنظر جيدًا فقد حفر فى عقلى وذاكرتى وكل أحلامى الصغيرة. سبع جثث ملقاة فوق الشاطئ والناس ملتفون حولهم فى نواح وبكاء، لطمت النساء الخدود وشقت الجيوب. صرخت أمى كثيرًا وهى تضع من رمال البحر فوق رأسها وعلى وجهها الكثير. ثم ارتمت فوق جثة أبى تحتضنه وتقبله. كانت كل تلك الصور أراها أمامى فى ضبابية من كثرة ما انهمرت الدموع من عينى. لم أصرخ مثل أمى. لم أشق ملابسى. فقط بكيت. بكيت بحرقة مزّقت قلب طفولتى.

* * *

هذا البحر الذى أحبه وأعشقه سرق منى أبى رغم ذلك فأنا ازداد حبًا له ولا أطيق البعاد عنه. هل لأنى أرى صورة أبى فيه، أم لأنى ولدت من رجل صياد كانت حياته البحر ووفاته أيضًا. أشعر بأن أمواجه تجرى فى عروقى. أشعر بأننى أسبح فى عالم مائى. ويا له من عالم..

* * *

كان بيتنا فى المكس قديمًا له بلكونات خشبية ومشربيات من الخشب المصنوع بشكل زخرفى جميل. مربعات ومثلثات. كانت عروق الخشب الضخمة تحمل بيتنا، كثيرًا ماتعلقت بها وأنا استخدمها كأرجوحة فى صباى. وعندما كبرت لم تعد هذه

الأخشاب تثيرنى لألعب بها وفوقها لكن أثارنى شكل تكوينها وبنائها، وألوان زجاج النوافذ المعشق الزاهى كم أثارنى منظره خاصة حينما تسقط عليه أشعة الشمس البيضاء؛ فتترك فوق الأرض ظلالاً من الألوان الجميلة. ذكرتنى كثيرًا بما كنت أفعله مع الأولاد ونحن صغار حينما يهبط المطر ويترك لنا الأرض غارقة فى المياه. كنا نأتى بقشر اليوسفى والبرتقال ونعصره فوق برك المياه التى تملأ الأرض فنرى الألوان الجميلة تسبح على وجه المياه..

يا له من منظر جميل.. آه ياطفولتى.. كان بيتنا يطل على البحر فى المكس أحبه ويحبه عبودة. ذات يوم سمعنا من الجيران أن الحاج ضاحى البحر قرَّر هدم البيت. سقطت قلوبنا مع سماع هذا الخبر. ضربت أمى صدرها بيدها وهى تقول:

ـ سيُهدم البيت. لاحول ولا قوة إلا بالله. أين نذهب ؟

تخيلت نفسى أعيش مع أمى فى كُشك خشبى متهدم متهالك فوق رصيف الشارع بلامتاع ولا ماء. ينهمر علينا المطر، فلا نجد ملجأ يأوينا. أين أذهب؟ سؤال كاد يقتلنى كما قتلنى ضاحى البحر. وإذا بأمى ترتدى ملابس الخروج وهى تردد سآخذ الست أم صبحى ونذهب للحاج ضاحى إنه رجل طيب. سأطلب منه ألا يهدم البيت.

قلت لها:

- ستطلبى منه ألا يهدم البيت ياأمى. هل سيستمع لك أيوقف أملاكه من أجلك؟!

قالت أمى فى أسى:

- أين نذهب ياربى وليس لنا أحد فى هذه الدنيا.

صمتنا ثم أردفت:

- لا مفر إلا من زواجكِ بعبودة، وأنا فليرحمنى الرحمن.

صرخت فى وجه أمى:

- لا. . لا لن أتزوج عبودة ولن أترككِ أبدًا.

قالت أمى:

- يا ابنتى ليس لنا أحد سوى الله

فوجئنا بصوت يقول:

- أنا لكما فى هذه الدنيا

وإذا به يقف فوق عتبة الباب، وقد أوقف بجسده انبثاق الضوء القليل الذى كان يدخل علينا. رحبت أمى به.. قال وهو يدلف داخل الحجرة بقامته التى ملأت الباب:

- جئت أقول أنى جهزت لكما شقة فى بيتى الجديد بدلاً من هذه الحجرة الضيقة المظلمة؛ لأنى نويت بإذن الله أعيد بناء هذا البيت القديم. أهدمه وأبنى عمارة ضخمة.

نظرت فى وجه أمى فوجدته قد أشرق وغطته الابتسامات.

ـ كلك كرم ياحاج والله كنا شايلين هم المكان.

قاطعها ضاحى البحر وهو يحملق فىّ، من عينى إلى فخذى.

ـ معقول ياست أم نور أهدم البيت ولا أجد لكما بديلاً، على العموم لاتحملى همًا فالشقة الجديدة واسعة ورحبة. الشمس تسكنها طول اليوم، وإن شاء الله سأجهزها لكما من الغد.

انغرزت نظراته فى جسدى كالسكاكين فحاولت التستر رغم ملابسى، وصورته يوم الاعتداء علىّ لاتفارقنى، وعقلى يحدثنى.. ما الذى تنويه أيها القاتل تريد أن تطمئن لوجود الجثة جوارك أم تريد مواصلة اعتداءاتك المتوحشة. قطع الرجل حبل أفكارى:

ـ استأذن أنا. عن إذنكما.

حاولت طعنه بسكين فى قلبه الميت، وحاولت أمى أن تمسك به ليشرب كوبًا من الشاى، لكنه أبى رافضًا بشكر وامتنان وعند فوهة الباب، قال:

ـ سأرسل لكما الولد (بلية) مع سيارة (حماصه) ليحملا العفش ويريكما البيت الجديد. السلام عليكم.

فور خروجه انطلقت من داخل أمى سعادة غامرة..

ـ سننتقل لمسكن جديد. الحمد لله.

صاحت:

ـ يانور الحاج ضاحى البحر قال الشقة الجديدة تسكنها الشمس.

قلت فى حزن كثيف:

- المهم السعادة يا أمى.

قالت لى:

- أشعر بحزنك يانور. مابكِ يا ابنتى ؟

قلت وأنا أخفى مصيبتى وانكسارى:

- عشنا فى هذه الحجرة سنوات.

لم أستطع أن أخبرها عما يجيش بداخلى فالأحزان التى تحملها فوق طاقتها ومع ذلك فهى متحملة وصابرة.

فهل أخبرها بسبب حزنى لتسقط نهائيًا.

* * *

كل شىء غارق فى المياه. أنا والناس والمبانى والأشجار. كل شىء من الماء وإلى الماء. نعيش ونتنفس تحت الماء. أقابل أبى الذى يأتينا مسرعًا. ينادى علىّ.. نور.. نور.. نور أمد له يدى. يتلقفنى ويحتضننى. يقذف بى لأعلى فأصعد. أصعد. أصعد حتى أرى السماء ثم أغوص. أغوص فى قاع البحر. أبحث عنه. أنادى عليه أين أنت يا أبى؟ .. أين أنت يا أبى؟ تأتينى أمى متوشحة بالسواد تبكى دموعًا بحريه لتزيد من مياه البحر فيثور البحر وتتلاطم أمواجه. وتخبرنى أمى بخروج أبى من الماء إلى الماء. أنظر إليها. أحملق فى الناس فى الأشجار. فى المبانى باحثة عن أبى وتعيد أمى جملتها لى من جديد..

أبوكِ خرج من الماء إلى الماء.

التفت يمينًا ويسارًا أبحث عن شيء فلا أبصر شيئًا. لا أبصر شيئًا. فكل شيء غمره الماء. وتتركني أمي. تبتعد عني رويدًا. رويدًا أرتعد خوفًا. أنادي عليها لتعود لي. لكنها تختفي عن عيني. أصرخ. أصرخ.

* * *

في الشقة الجديدة حدثتني أمي بما يجيش بدواخلها من أحاسيس:

ـ أشعر بك يانور ياابنتي. أنت لست بخير. أخبريني.. أخبريني ياحبيبتي مابكِ؟ قلبي مقبوض عليكِ

حاولت الابتعاد عنها حتى لاتشعر بدموعي وحاولت أن أقول لها.. لاشيء.. لاشيء.. أردت أن أطمئنها لكن حزني ودموعي وتبدل حالي ورفضي لعبودة المستمر وأنا امرأة اعتدى عليها.. مدت أمي يديها في الهواء طالبة مني أن أرتمي في حضنها. تعالي ياحبيبتي في حضن أمكِ. تعالي. وقذفت بنفسي فيها دخلت في صدرها فأخذتني في حضنها الدافئ. انهمرت دموعي بغزارة وتشنج. تحسست أمي وجهي براحتها. قالت لي:

ـ أستحلفك بالله ياابنتي تقولي مابكِ.

خرجت كلماتي متقطعة من شدة بكائي:

ـ المجرم. المجر.. المج..

سألتنى عمن يكون. أجبتها..

- ضاحى البحر..

كاد قلب أمى يتوقف عن دقاته. صاحت فى وجهى وهى تبعدنى عن حضنها:

- ماذا فعل؟ إنه رجل صالح

قلت دفعة واحدة وأنا أحاول الفرار من مواجهتها:

- فعلها معى.

صرخت وهى تتلفت بوجهها فى كل الاتجاهات:

- ماذا تقولين؟ فعلها معكِ كيف.. كيف؟ ومتى؟

قلت:

- عندما أخذكِ الجيران للمستشفى. دخل علىَّ فجأة وأنا أبّدل ملابسى قتلنى المجرم ياأمى. قتلنى.

صرخت فى جنون:

- الحاج ضاحى البحر مستحيل. أقول عنه رجل صالح. طيب وخيِّر. من أجل هذا طلب يدكِ منى. المجرم. المجرم سأصرخ وألمّ الناس عليّه وأفضحه.

رجوت أمى ألا تفعل ففى ذلك فضيحة لى لن يغفرها الناس أبدًا. صمتت أمى تفكر بعمق. دموعها انزلقت من عينيها. فار صدرها فورانًا شديدًا. كأنه البركان. لم أستطع تحمله.

قلت لها:

- لا أطيق المكان ياأمى سأخرج. أحس بالاختناق. سأخرج، وخرجت وليتنى ماخرجت، فعندما عدت لحجرة أمى وجدتها ممددة فى مكانها. لم تتزحزح عنه. حدثتها فلم تجب. هززتها فسقطت من قعدتها فوق الأرض وانطلقت منى صرخة اهتزت لها أركان البيت، ولمت الناس علىّ ورحت فى هستيريا أردد:

- أمى ماتت. أمى ماتت.

* * *

فى مقهى (خفاجى) بالورديان جلس الحاج ضاحى البحر مع عثمان زميله ومعاونه فى صفقات البحر التجارية وشريكه فى تجارة الأخشاب التى تورّد لهما من خارج البلاد عبر البحر المتوسط.. وإخراجها من الميناء فى يسر وسهولة. جلسا بجوار النافذة الزجاجية الكبيرة التى تكشف شارع المكس من مارة وسيارات ومبانٍ وهما يحتسيان الشاى ويدخنان الشيشة.

قال عثمان لضاحى البحر:

- الملك يريد مقابلتك والتعرف عليك.

فغر فاه الحاج ضاحى البحر وصاح مندهشًا:

- الملك فاروق الأول.

ضحك من سذاجة الحاج ضاحى فقال له:

- فاروق. الملك فاروق فى المنفى ياحاج ضاحى.

تراجع الحاج ضاحى البحر عن صياحه ودهشته وأردف بنبرة صوت منخفضة ساحبًا نفسًا من شيشته:

- أى ملك يريدنى ياعثمان؟!

قال له فى ابتسامة:

- ملكنا نحن.

سأل الحاج ضاحى البحر:

- ملكنا؟. هل لنا ملك؟ كل علمى أن عبد الناصر هو رئيسنا.

صاح عثمان:

- ياحاج ضاحى ماتتركنا من سياسة الدولة ولنظل فى سياستنا.

قال الحاج ضاحى البحر:

- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهمك؟ هل حقًا لكم ملك أو لنا ملك كما تقول.

قال عثمان:

- نعم لنا ملك

سأل ضاحى ساخرًا:

- ووزراء؟

رد عثمان:

- طبعًا

سأل مرة أخرى:

- ودولة وحكومة؟

رد عثمان مرة أخرى:

- الدولة نعم فلنا دولة، لكن حكومة لا. نحن لا نحب الحكومة.

سأل من جديد:

- وأين دولتكم؟

أجابه:

ـ عندما تقابل الملك ستعرف كل شىء.

سأل مرة أخرى:

ـ لماذا يريدنى الملك ؟

أجابه:

ـ لقد سمع عنك كثيرًا وأعجب بك وبنشاطك، ثم إنك رجل عصامى ومحبوب من أهلك وجيرانك.

سأل:

ـ وما الذى سيفعله بإعجابه بى؟!

أجاب:

ـ ربما يختارك وزيرًا فى وزارته

صاح رافضًا:

ـ أنا لا أحب السياسة

وافقه:

ـ ولا نحن

سأل:

ـ كيف سيختارنى وزيرًا عنده؟

قطع عثمان سلسلة أسئلته تاركًا مبسم الشيشة وخرطومها فوق المنضدة ثم وقف بقامته أمامه يقول:

ـ هيا معى لمقابلة الملك.

وانطلقا خارجين من (خفاجى).

* * *

قاد عثمان سيارته المرسيدس والحاج ضاحى البحر جواره يسأله من جديد:

ـ أين نذهب؟

رد عليه عثمان:

ـ هو الآن يتناول عشاءه بالمطعم.. سنقابله هناك.

سأل ضاحى البحر:

ـ كان يجب إخباره بحضورنا.

أجاب:

ـ نحن على موعد معه.

قال ضاحى البحر:

ـ يا أخى أنت غريب وتصرفاتك غريبة. أنا لا أفهمك أبدًا.

قال عثمان:

ـ هل ضررت بسببى؟

تراجع ضاحى عن قوله:

ـ لا . لا فقط أقصد إنك..

قال عثمان:

- هل ساعدتك وشاركتك فى أعمالك أم لا

قال:

- حصل

سأل:

- كسبنا كثيرًا أم لم نكسب

قال ضاحى:

- كسبنا طبعًا

ضغط عثمان على فرامل السيارة فوق كوبرى المكس الصغير. ونظر إلى النهر الذى يصب مياهه فى جوف البحر دون أن يمتلئ وقال للبحر :

- كل مكسبنا بفضل الملك.

رد ضاحى البحر :

- سبحان الله الملك القدوس هو خير الرازقين.

انطلق عثمان بسيارته مسرعًا ومردفًا لضاحى البحر:

- يا حاج ضاحى أقصد الملك الذى سنقابله.

رمى الحاج ضاحى البحر نظره فى البحر وهو يهز رأسه عجبًا.

* * *

أمام مطعم (سيجُلّ) الشبيه بالقلعة وقفت السيارة التى هبطا منها متجهين ناحية الباب بين خدم المطعم بزيهم الأحمر والأسود المميز الذين رحبوا بهما بحفاوة.

قال ضاحى البحر:

- أول مرة فى حياتى أدخل هذا المطعم.

قال عثمان:

- إنه مطعم الباشوات والملوك.

قابلهما الخواجة (كورسيكا) أمام مدخل المطعم الخالى إلا من قليل من زبائنه المعروفين، راح يرحب بهما بلهجته العربية المميزة بامتزاجها باليونانية وهو يمد يده مرحبًا ويقودهما إلى حيث يجلس الملك الذى ذهبا لمقابلته.

* * *

دخل ضاحى البحر شقته متجهمًا غاضبًا، فقابلته أمه العجوز وسألته عما به، لم يجبها لكنه دلف إلى حجرة نومه مغلقًا خلفه الباب وراح يتحدث بصوت عالٍ مع ضاحى البحر:

- سأجن لا أعرف كيف أتصرف معهم. نعم ساعدونى وعاونونى وكسبت منهم كثيرًا، لكن أن أغرق فى البحر فلا وألف لا، وإذا لم أطاوعهم ما الذى سيجرى وقد عرفت الكثير عنهم وشاركتهم دون أن أدرى لقد كشفوا لى كثيرًا من أوراقهم فهل يكونون بلهاء.. لا.. وألف لا . إنهم مراكز قوى كما قال عثمان عليه اللعنة. هو السبب.

طرقت زوجته (سنية) الباب فصرخ منزعجًا:

- مَنْ؟

أجابت:

- افتح يا أبو الغيط.

فتح لها الباب فانزلقت إليه بجسمها الممتلئ نظرت فى وجهه.

سألته:

ـ ما بك يا أبو الغيط؟

أشاح بوجهه بعيدًا عنها:

ـ لا شىء

قالت:

ـ مشاكل فى العمل؟!

هز رأسه بالإيجاب

أردفت:

ـ لا يهمك شىء يا أبو الغيط نحن الآن أحسن من قبل والحمد لله رب العالمين. انظر أين كنا وكيف أصبحنا؟ الآن نملك العمارات ونسكن السكن الفاخر.. نأكل الطعام الطيب ونملك الأموال بعدما كنا لا نجد شيئًا من كل هذا. كنا نبيع القادوسية وكنت أنت نفسك تسرق السكر. وأخوك (حمدتو) الذى كان يبيع (المهلبية) أصبح مديرًا ويملك شركة معك.

ابتسمت له ثم تحولت الابتسامة إلى ضحكة. أرادت زوجته أن تُذكّره بماضيه المضنى الذى كافح وقاتل من أجل الوصول إلى ما وصل إليه، وكانت دائمًا تذكره بذلك ولم يكن يغضب منها يومًا من حديثها عن الماضى، بل كان ينتشى ويسعد فهذه علامات نجاحه وتفوقه فى الحياة ومؤشر صحيح لخط سيره، لكنه قاطعها قائلاً :

ـ لم أفعل كل هذا وحدى يا سنية.

قالت متوددة إليه:

- أعلم هذا يا أبو الغيط فهناك العمال معك. الوناشين والحمالين والسواقين والتباعين والموظفين.

هز رأسه بالنفى:

- لا .. لا .. أنا لا اقصد هؤلاء أنا اقصد الرجال الكبار.

ابتسمت فرحة فهى تعلم أن زوجها أبو الغيط ضاحى أضحى يجلس مع كبار القوم من ضباط ومأمورى أقسام ومديرى أمن أعضاء مجلس الشعب بل والوزراء. لقد أمست له مكانة فى البلد، مكانة كبيرة.

فقالت:

- ما انت بتدفع لهم!!

قال:

- هناك ناس غير هؤلاء.

قالت:

- وماله ادفع لهم أيضًا.

قال فى غضب:

- لا أدرى ما الذى أقوله لك.. أنت لاتفهمين كل شىء.

ثم أردف:

- أنا خارج.

سألته:

- إلى أين يا أبو الغيط؟

قال:

- لا أعرف.

أجابته:

- ستذهب إليها.

وقف قبالتها مبهوتًا:

- مَنْ ؟

أردفت :

- نادرة.

سأل :

- نادره مَنْ يا سنية يا بنت المرحوم ؟

قالت وهى تنظر فى عينيه :

- زوجتك.

دهش، لم يجد شيئًا يقوله، انهمرت دمعة من عينيها.

- لقد عرفت كل شىء يا أبو الغيط ومنذ اليوم الأول وصمت وسكت.. قلت يا بنت من أجل الأولاد اسكتى.. يا بنت ما دام بيرجع لك وينام فى حضنك اصمتى واصبرى واسكتى.

صرخ فى وجهها غيظًا:

- من حقى يا بنت المرحوم مثنى وثلاث ورباع، ثم إننى لم

أظلمك شيئًا، أنت تعيشين فى رفاهية ومعكِ الآلاف وسيارة خاصة وسائق مخصوص.

ثم اتجه خارجًا فقابلته أمه العجوز وأولاده الصغار، نظر إليهم لكنه أسرع الخطى خارجًا، هبط مسرعًا، فتح باب سيارته، بعض الجيران راحوا يحيُّونه دون أن يرد عليهم، اندفع مسرعًا إلى البيت الثانى حيث نادرة التى استقبلته بالأحضان والقبلات الملتهبة.

قالت له:

- غبت عنى.

رد عليها :

- الشغل كثير

قالت:

- الشغل والا هناك أحد أخذك منى .

قال فى زهق:

- يا شيخة ما أنت عارفة الشغل فى الميناء وعمل المكاتب والسفر المستمر.

قالت:

- أجهز لك الحمام.

- لا أنا زهقان وقرفان اليوم.

سألته وهى تواصل قبلاتها له:

- خير إن شاء الله.

- ظهر لى شركاء جدد.

سألت:

- شركاء كيف ؟ ومن هم ؟!

- رجال كبار عاونونى وساعدونى فى استيراد الأخشاب.

فى خبث قالت:

- فقط.

- كانوا يحمونى دون أن أدرى

قالت:

- رجال خير إذًا هم

قال:

- يريدونى معهم.

صاحت:

- اعمل معهم.. ما المشكلة ؟!

- عملهم صعب وشاق.

فى دلال داعبته:

- ليس على ضاحى البحر يا ملك البحر.

صاح:

- أوووه فكرتينى بالملك.

سألت:

- أى ملك يا ضاحى أنا لا أفهمك.

- كل الناس اليوم لا تفهمنى، وأنا لا أفهم أحدًا.

قالت:

- كل مشكلة ولها حل.

- يريدونى أن أتعاون معهم.

شجعته:

- أنت قلت إنهم عاونوك وساعدوك فعاونهم وساعدهم

صاح:

- نادره هل ترين ذلك ؟

ردت على سؤاله بسؤال:

- هل تخشى شيئًا؟

- لا أنا أنفذ فى الحديد.

شجعته مرة أخرى:

- هذا عهدى بك. توكل على الله يا ملك البحر

قال منتشيًا:

- إذن جهزى لى الحمام.

فرحت فنهضت من أمامه فى دلال وقبلته قائلة:

- حالاً يا حبيبى.

وراحت تغنى فى دلال ودلع..

* * *

تمدد ضاحى البحر فوق فراشه مستيقظًا، يسترجع ماضيه وحوادث حياته حتى توقف عند اليوم الذى دخل فيه على نادرة، قدم له (حماصة) سيجارة :

- دخن يا معلم هذه السيجارة قبل ما تدخل، ستلاقى نفسك عال العال، عفر يا معلمى.

فى البداية رفض أن يتناول شيئًا، لكن إصرار (حماصة) والأصدقاء الذين أرادوا الاحتفال بفرحه وزفافه جعله يتناول السيجارة، وتحت وهج الفرحة التى كان فيها اندمج معهم فتناول الشراب والدخان وحينما دخن اعتدل مزاجه ثم دخل على عروسه، وحينما أعجبته الليلة التى قضاها طلب من (حماصة) جلب سجائر أخرى مثل التى دخنها فناوله علبة كاملة وعندما انتهت العلبة سأل (حماصة) أن يدله على مكان بيعها فضحك قائلاً له:

- هذا النوع من السجائر لا يباع ولا يشترى.

فسأله فى دهشة:

- كيف الحصول عليه يا حماصة.

رد عليه:

- إنها تلف بالأصابع هكذا.

قال ضاحى:

- الحشيش فى هذه السجائر.

قال حماصة:

- ليس وحده يا معلمى.

سأل:

- ماذا معه؟

قال حماصه ضاحكًا:

- توليفه أخرى.

صاح:

- ماهى ؟

قال مواصلاً ضحكه:

- سر الصنعة يا معلمى.

وأصبح أبو الغيط ضاحى صاحب مزاج، عرف طريق شرب المخدرات.

فجأة هبّ من رقدته ليقف وسط الحجرة صائحًا:

- أشرب مخدرات موافق.. أبيع مخدرات لا. لا. لا.

دخلت عليه نادرة فى لباس وردى شفاف يكشف كل كنوزها

- ما بك يا ضاحى وأى مخدرات تتحدث عنها

قال فى حيرة:

- أنا فى حيرة، الناس الكبار يستوردون المخدرات ويدسونها فى رسائل الخشب، ويريدوننى معهم أعاونهم وأساعدهم.

سألت فى خبث وهى تحيطه بذراعيها فى غزل مكشوف بمفاتنها:

- كيف ؟

قال :

ـ أستورد الأخشاب باسمى ويدسون المخدرات فيها، وحينما تخرج الأخشاب من الميناء يتسلمونها هم وأقبض أنا نصيبى.

قالت:

ـ وهل عليك شىء فى ذلك ؟

سأل مندهشًا:

ـ ماذا تقصدين ؟

قالت:

ـ من ناحية البوليس.

قال:

ـ يقولون لى لا تخف فهم قادرون على إسكات أى صوت فى البوليس بل وفى الحكومة.

قالت:

ـ ناس واصلين ؟!

هز رأسه.

قالت:

ـ لن تستطيع الفرار منهم.

قال وهو يحاول إبعادها عنه:

ـ كأنك تعرفين كل شىء

قالت:

- خبرة الحياة.

قال سائلاً:

- وما العمل؟

أجابت:

- جاريهم..

سأل:

- كيف؟

قالت متمسحة فيه كقطة:

- تستطيع التعاون معهم لكن بحذر، ورسائل الخشب أنت لا تسير خلفها حارسًا، ولا تعرف ما يخبأ فيها. أنت هنا فى الإسكندرية وتأتيك الأخشاب من الخارج.

قال:

- يعنى لا شىء علىّ.

قالت:

- حتى تضمن حياتك ومستقبلك وتكسب الملايين

سأل:

- أتعاون معهم يا نادرة ؟!

قالت:

ـ المغامرة تفتح أبواب الرزق يا ضاحى يا بحر. والذى له قلب ليس له رزق.

قال:

ـ أنتِ حكيمة يا زوجتى العزيزة.

قالت:

ـ نريد أن نكون أغنياء أغنى البلد.

قال:

ـ إنه حُلم حياتى.

احتضنته فى قبلات ساخنة:

ـ بل حلم حياتى أنا...

***

دق جرس التليفون فى بيت ضاحى البحر فأسرع إليه. أتاه صوت الملك فى تأكيد ودون مقدمات.. هناك رسالة فى الطريق هل ستشارك بنصيبك فيها. أصابت المفاجأة ضاحى فتلعثم، لكنه تدارك نفسه:

ـ أوامرك يا ملك.

سمعته نادره؛ فاقتربت منه تسأله:

ـ هل هو الملك حقًا؟

هزَّ رأسه بالإيجاب فوضعت أذنها بجوار سماعة التليفون معه لتسمع ما يسمعه.

- بكم ستسهم ؟

سأل ضاحى:

- هل أستطيع معرفة نسبة الربح ؟

ضحك الملك عبر التليفون مرددًا:

- أنت تاجر شاطر يا ضاحى.

أجابه:

- تلميذك يا أفندينا .

قال الملك:

- الواحد بعشرة.

صاح ضاحى:

- ماذا تقول يا ملك الواحد بعشرة !!

أكد له صحة ما قاله فأردف ضاحى أعطنى مثلاً بالأرقام ياملك

قال ضاحكًا:

- لو أسهمت بمليون تأخذها عشرة مليون..

بهت ضاحى برهة ثم قال:

- ليتنى أمتلك المليون الآن.

سأله:

- إذًا بكم ؟

صمت وحملق فى وجه نادرة المنبهر فهزّت رأسها هامسة له:

ـ مائة ألف.

فصاح ضاحى:

ـ مبدئيًا مائة ألف يا أفندينا.

قال الملك:

ـ مبروك ستقبض مليونًا يا ضاحى.

رد ضاحى:

ـ مليونا يا أفندينا.

أجابه:

ـ والآن أصبحت أحد الوزراء فى مملكتنا يا ضاحى مبروك وأغلق التليفون.

وضع ضاحى سماعة التليفون ببطء شديد وهو يفكر فى شىء ما، فقاطعته نادرة بسؤالها:

ـ ماذا بك يا ضاحى ؟

رد:

ـ سأقبض مليونًا فى غمضة عين.

قالت فرحة:

ـ هذه خطوة المليون الأولى يا حبيبى فى طريق الملايين.

وقبلته دون أن يستطعم قبلتها؛ فلذته ونشوته كانت فى المليون الأولى.

رن التليفون عند نادرة فجاءها صوت مجهول:

- مبـروك يا هانم نصيبك سيصلك الآن مع أحد رجالنا شكرًا للتعاون.

*

■ ٥ ■

فى الليل الأسود خرجت أم صبحى بجسمها الممتلئ على آخره إلى الشارع الضيق تصرخ مولولة وصوت الراديو الكهربائى يذيع بيانه الحزين:

(رجل من أعز الرجال.. رجل من أشجع الرجال..)

خرج الناس إلى الشارع يستطلعون الأمر عن هذا الصراخ وما يقوله الراديو وفى جنون هستيرى راحت أم صبحى تردد:

- عبدالناصر مات.. عبدالناصر مات.

أصيب الناس بذهول سرعان ما انطلق إلى صراخ جنونى لشعب بأكمله.

وأغمى على أم صبحى وسط الشارع فالتفت النسوة حولها فى بكاء وهن ينضحن الماء على وجهها حتى أفاقت مرددة فى رفض لا.. لا.. عبدالناصر لم يمت..

وانطلقت فى الشوارع أصوات الإذاعات التى راحت تذيع القرآن الكريم..

وصوت الإذاعات الأجنبية التى نعت موت جمال عبدالناصر.

وتنكيس العلم الأمريكى فوق الأسطول السادس..

ولم تصدق نور أن عبدالناصر يموت هكذا.. سريعًا وفجأة.. ظلت فى وجوم طوال ليلها حتى صباح اليوم التالى.

سألتها أمها:

- لن تذهبى للسوق اليوم يا نور.

قالت:

- البلد حزينة يا أمى.

ردت:

- ربنا يرحمه.

قالت:

- كأن أبى قد مات الآن.

***

فى مقهى (خفاجى) تجمَّع الناس يستمعون إلى الإذاعة التى تبث القرآن الكريم والبيان الصادر من رئاسة الجمهورية. وقف أبو الغيط وسط الرجال يذرف الدموع.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال رجل:

- أخشى أن يستغل اليهود ظروف موت الريس ويهاجموننا مرة أخرى.

رد أبو الغيط فى انفعال:

- وأين ذهبنا نحن ؟ كلنا سندافع عن أرضنا وبيوتنا وأولادنا.

قال الضانى:

- لا أظن اليهود يجرءون على ذلك.

قال حماصة :

- المشكلة يا ناس أن عبدالناصر مات، النكسة كانت صعبة عليه وعلى البلد.

صاح أبو الغيط فى غضب:

- يلعن أبو اليهود وأمريكا.

لابد من حل لهذه القضية يا جماعة.

فجأة سمع الرجال فى المقهى أصواتًا بشرية تزأر : لا إله إلا الله محمد رسول الله. أطل أبو الغيط من فم الباب مع الناس المتواجدين بالقرب من المقهى.. سمع مظاهرة ستسافر للقاهرة.

صاح أبو الغيط:

- ستذهب إلى مصر لتوديع الريس.. هيا بنا معهم.

جذبه الضانى من يده هامسًا فى أذنه:

- سفر مع المظاهرات يا رجل... دع هذه الأمور لأصحابها وتعال نرى أمورنا.

قال أبو الغيط:

- هل هذا وقته يا ضانى ؟

قال الضانى:

ـ هذا أحسن وقت. البلد مشغولة بموت الرجل الكبير.

الحكومة كلها حول الجثمان بتجهز للجنازة، والميناء جاهز لنا على آخره شيل واخرج ولا أحد يقف لك.

قال أبو الغيط:

ـ عندك حق يا ضانى، هذا أحسن وقت، الحكومة مشغولة عنا.

ضحك فضحك معه الضانى ارتفع ضحكهما، انتبه الضانى للصارخين والباكين فى المظاهرات.

قال له:

ـ نسينا أنفسنا، نحن فى حالة حزن.

قال أبو الغيط:

ـ عندك حق، وحاول البكاء.

فجذبه الضانى بعيدًا وهما يرددان: لا إله إلا الله .. الوداع يا جمال..

***

قاد «عثمان» ضاحى البحر إلى (سان استيفانو) عبر به الشوارع الهادئة المزروعة بالفيلل والقصور، ثم أدخله إحداها، قصر يطل على البحر المتوسط، أغلقت خلفهما الأبواب، التقيا برجال مختلفين، كان يلقى عليهم بتحية سرية فيطمئنون لمن معه ويقودونهما للداخل حتى وقفا فى بهو برهة، ثم أكملا سيرهما إلى

حجرة واسعة بها جهاز تليفزيون وفيديو ومكتب وأريكة ومكتبة وزهور مختلفة ألوانها وجهاز لاسلكى ولوحة زيتية كبيرة تحتل إحدى جدران الحجرة. الصورة للنيل بالحجم الضخم. مياه ومراكب شراعية ونساء على شاطئ النيل يغسلن أوانيهن النحاسية وملابسهن الملونة وأخريات يحملن القدور والبلاليص المملؤة بالماء فوق رءوسهن لم يكن هناك أحد بالحجرة؛ فحملق ضاحى البحر إلى بحر النيل ونسائه اللاتى كشفن عن سيقانهن أثناء عملية الغسيل.

دقائق ثم دخل عليهما رجل ضخم الجثة يرتدى بذلة سوداء كاملة، فى فيه سيجار غليظ، رحب بهما مصافحًا، جلسوا، الرجل أمام المكتب والآخران فوق الأريكة وبينهما الزهور.

قال ضاحى:

- شكرًا يا ملك.

قال الملك:

- نحن فى حاجة إلى عضو مجلس شعب فى هذه المحافظة.

قال ضاحى:

- لا أفهم شيئًا.

قال الملك:

- نريد أن نعين عضوًا آخر لمجلس الشعب من رجالنا.

قال ضاحى:

- لماذا يا ملك ولديك الكثيرون ؟

قال الملك:

ـ أمور السياسة. ستنفعنا فى عملنا.

نظر ضاحى إلى عثمان يستفهمه، لكن الملك قال فى حدة آمرة:

ـ وقع الاختيار عليك يا أبو الغيط.

تعجب ضاحى البحر من اللقب الذى ناده به الملك لكنه أردف:

ـ البلد سيتغير حالها بعد عبدالناصر ونريد الاستحواذ على مراكزها القوية. ومن هذه المراكز مجلس الشعب يا بطل.

نريد أن يكون لنا فيه نسبة مؤثرة وقد وقع الاختيار عليك لتكون نائبًا للورديان والقبارى والمكس..

صاح فى تأكيد:

ـ ستنجح حتمًا، سنعمل على نجاحك، مبروك يا ضاحى يا حاج ضاحى البحر.

ضحك الملك مقهقهًا وتلعثم ضاحى فقال له:

ـ عضو مجلس الشعب، أنا لا أفهم فى السياسة ولا أحبها.

قال الملك

ـ أنت نائب الورديان والمكس، اذهب وأقم علاقات طيبة مع الأهالى، مهد للانتخابات يا حاج.

ثم نظر الملك إلى عثمان وقال لهما:

ـ انتهت الزيارة.

* * *

دخلت الميناء سفينة تجارية محملة بالأخشاب قادمة من آسيا باسم الحاج ضاحى البحر، ما أن بدأ تفريغها على أوناش شركته وصنادله حتى دقّ جرس الهاتف فى مكتبه بشارع النصر، فرفع الرجل سماعته، أتاه صوت الملك.. وهو يأكل التفاح بسكينة:

- مبروك يا حاج ضاحى المليون جينه.

صرخ الحاج ضاحى فرحًا وهو يردد:

- الله يبارك فيك يا باشا

قال الملك:

- تحب تستلم المليون جنيه شيك أم نقدية.

قال ضاحى متلهفًا :

- نقدية يا أفندينا وهو يضع السكين وبقايا التفاح فوق المكتب.

أكد الملك:

- ربع ساعة وستصلك فى المكتب المليون جينه، انتظرها.

وأغلق الحديث بينهما، ثم خرج من مكتبه إلى موظفيه الذين صاح فيهم:

- اذهبوا الآن إلى بيوتكم، انتهى العمل اليوم أريد، الانفراد بنفسى، وأنت يا حماصة (روّح يا اخويا).

ظل بمفرده داخل مكتبه فى شوق لتسلم المليون، راح يحلم بها..

رأى نفسه وحيدًا وسط الحجرة والنقود الورقية تتساقط عليه من السقف وهو فرح فرح. يصرخ فى سعادة والنقود تزداد وترتفع..

تزداد وترتفع حتى يغرق فيها، ودخل عليه أحدهم حاملاً حقيبة (سومسنايت).

ـ مساء الخير يا حاج ضاحى.. الملك يهديك السلام.

وترك له الحقيبة ثم خرج، فتح ضاحى البحر الحقيبة، نظر فى انبهار للنقود التى رُصت بعناية داخل الحقيبة ثم صرخ :

ـ مليون جنيه دفعة واحدة.

وحدَّث نفسه:

ـ غريبة الفلوس معى كثيرة.. لكن طعم هذه الفلوس أطعم وألذ لماذا؟ لماذا أنا سعيد بها أكثر من أى شىء يأتينى.

فى هذه اللحظة رأى نادرة؛ بهت، حملق جيدًا، ماذا أرى، أهى أحلام أم زغللة عين... نادرة؟!

قالت:

ـ جئت إليكَ يا حبيبى بشحمى ولحمى.

صاح:

ـ وما الذى أتى بك إلى هنا، ومنذ متى تأتين لى فى المكتب؟!... عمرك ما جئتى هنا، هنا ممنوع. ممنوع يا نادرة.

جلست. رأت النقود. قال فرحًا:

ـ مليون جنيه من الملك.

نظر للنقود داخل الحقيبة وفى نشوة راح يخرجها من بطن الحقيبـة ليفرشها فوق مكتبه مهلِّلاً:

ـ مليون. مليون من الملك يانادرة.

قطَّبت جبينها فى رفض وغضب، حملق إليها، توقف، رص رزم النقود فوق المكتب، كف عن تهليله وراح يرنو إلى وجهها المتغير ثم سألها :

ـ ما بك لم تفرحى بالمليون.

وقفت غاضبة، وفى ثورة أطاحت بيديها كل النقود التى فوق المكتب فتناثرت الأوراق فى الحجرة كطيور تطير. تطير ثم تهبط فوق الأرض. صرخ فى فزع:

ـ النقود يا مجنونة.

وأسرع إلى النافذة يحكم إغلاقها بقوة وإلى الباب يتأكد من إغلاقه، ثم ارتمى فوق الأرض يحتضن النقود.

كانت تقف فى غضب وكان أسفلها يحتضن الأوراق المالية. تحت قدميها يفترش النقود. يحتضنها. يقبلها. اغتاظت فأطاحته بقدميها فى ركلة قوية انتبه إليها فوقف فزعًا، أمسك بها من كتفيها صارخًا:

ـ ماذا تفعلين؟!.. تركلينى بقدمك يا مجنونة يا ابنة المجنونة.

نظرت فى وجهه الغاضب بغضب آخر ودخلت معه فى صراخ وعراك:

ـ أنت المجنون ابن المجنونة (بياعة) القادوسية.

ذهل:

ـ ماذا تقولين يا معتوهة العقل ؟

ـ معتوهة نعم؛ لأنى تزوجتك، انتشلتك من الشارع شحات، وعملت منك معلم كبير وحاج يحترمه كل الناس. أعطيتك حر مالى لتعيش منه وفى النهاية ستذهب لتتزوج علىّ. مجنونة أنا ومعتوهة يا ابن...

صرخ:

ـ اخرسى اخرسى.. أى زواج تتحدثين عنه. سنية كنت متزوجها قبل زواجك ولدىَّ منها أولاد، زوجنى إياها أبى قبل أن أعرف شيئًا فى الدنيا، وهى تعلم زواجى بك وساكتة.. رضيت بوضعى معك.

ابتعدت عنه قليلاً تحدثه:

ـ سنية التى خبَّأت زواجك منها كنت أعرف عنها كل شىء لكن البنت المفعوصة ابنة العامية.. لا. . من بعدى مستحيل تتزوج فاهم يا أبو الغيط.

قال متجاهلاً:

ـ أى بنت يا نادرة تقصدين نور، أنا أعطف عليها فقط.

قاطعته:

ـ كذاب.. كذاب حدثتَ أمها لتتزوجها؛ ورفضت لأنك حقير.. كلب أجرب.

قال صارخًا:

ـ اخرسى لقد تطاولتى علىَّ كثيرًا.

وصفعها صفعة قوية فى ثورة غضبه، صرخت فى جنون تضربنى يا كلب يا ابن الكلب وأعادت له الصفعة.

دخلا فى عراك غير متكافئ، وفى ثورة غضبها لمحت السكين على مقربة منها فخطفتها لتطعنه، لكنه تناولها فى قوة وطعنها طعنة نافذة، انبثق الدم - كينبوع - متدفقًا فوق الأرض المفترشة بأوراقه المالية، فأسرع يلملم الأوراق فى ذهول صارخًا:

- فلوسى.. فلوسى..

وتمددت نادرة فوق الأرض غارقة فى الدماء..

* * *

اتصل ضاحى بالملك يطلب لقاءً سريعًا، فوافق الرجل على مقابلته.

فى اللقاء اعترف بقتله لزوجته.. حاول أمام الملك تبرير تصرفه :

- لا .... لا - لم أرد قتلها... كانت الطعنة رغمًا عن أنفى.. كانت خناقة طبيعية بين زوج وزوجته كانت خناقة صغيرة.

قاطعه الملك:

- لا تخشَ شيئًا.. كن هادئًا.. أنت رجلنا المنتظر هنا فى الإسكندرية، ولابد من حمايتك والمحافظة عليك.. زوجتك ماتت بالسكتة القلبية نتيجة مرض القلب المزمن.

صاح ضاحى:

- كيف ذلك يا ملك ولم تشكُ مرضًا أبدًا ؟!

قال الملك :

- كل هذه الأشياء فى أيدينا؟ اذهب الآن إلى البيت الثانى لتستريح.

- لكن الجثة فى المكتب يا ملك.

ضحك الرجل:

- لا تخف .. الجثة الآن فى بيت نادرة. اذهب لبيتك وفى الغد سيكون صوان العزاء منصوبًا بالقبارى.

* * *

دخل ضاحى البحر على سنية وأمه العجوز ليخبرهما شراءه فيلا فى العجمى تطل على البحر مباشرة، وعليهم الآن هما والأولاد وإخوته الانتقال إليها؛ فليستعدوا للسكن الجديد.. كانت مفاجأة للأسرة أخذتهم بداية دهشة وفرح وبعدها راحوا يتساءلون عن النبأ:

- والورديان، والمكس والجيران كلهم يعرفوننا هنا، ومن سيعرفنا فى العجمى كلهم بدو هناك، وكيف سنعيش فى منطقة مجهولة لنا..

لكن ضاحى البحر قطع كل أسئلتهم ودهشتهم حينما أخبرهم:

- لا تخافوا، لن نترك الورديان أبدًا، سيكون سكننا هنا شتاءً وفى العجمى صيفًا.

فصاحوا مهللين جميعًا بفرح غامر أضاءت له وجوههم.. كل الوجوه.

* * *

اتصل الملك بضاحى البحر يهنئوه بالڤيلا الجديدة فشكره الحاج بحرارة مرددًا:

ـ هذا من فضل الله وفضلك يا ملك.. الخير خيرك.. يكفى أنك أخرجتنى من مقتل ناردة مثل الشعرة من العجين.

رد الملك:

ـ أنت رجلنا لا تقل هذا.. ثم إن نادرة لم نكن فى حاجة إليها فى مرحلتنا القادمة.

بُهت ضاحى وفغر فاهه متسائلاً.. ماذا ؟

كان رد الملك كالصاعقة التى وقعت فوق رأس ضاحى البحر؛ فانهار فوق كرسيه يسأل نفسه أسئلة كثيرة ومختلفة، لقد ألجمه الملك بالدهشة والحيرة، دخل عثمان ملقيًا السلام فلم يشعر به.

صاح عثمان... يا عالم يا ناس يا هوووه.

انتبه ضاحى البحر فنهض من جلسته على الفور وأمسك بعثمان فى ذهول.

قال عثمان:

ـ ما تشد حيلك يا حاج.. البركة فيك وكلنا لها.

صرخ ضاحى:

ـ لا.. لا.. نادرة ماتت شىء طبيعى لكنها تعمل مع الملك دون علمى فهذا هو الجنون بعينه منذ متى يا عثمان وكيف كانت تعمل؟!

أبعد عثمان يدى ضاحى البحر الممسك به.

قال:

- لم تكن تعلم يا حاج.

رد:

- أبدًا.. أبدًا.

قال عثمان:

- من زمان

ضاحى:

- دون علمى ؟

عثمان:

- إنه الملك.

صرخ ضاحى البحر:

- يلعن أبو الملك..

* * *

بدأ الحاج ضاحى البحر حملته الانتخابية مرشحًا عن الحزب المصرى، فملأ الشوارع بالإعلانات القماش والملصقات الورقية برمز «الدراجة» وقد طاف بأصحاب المحلات والدكاكين والمقاهى مع رفاقه وأعوانه يدعو لحملته الانتخابية، استخدم أمواله فى توزيعها على الناس، كما وزع الأقمشة والدقيق على الفقراء وردد لكل من يقابله:

- برنامجى الأساسى هو عودة الرخاء لكل الشعب والطعام لكل فم والكسوة لكل جسد.

فى يوم الانتخاب أحضر الحاج ضاحى البحر لوريًا محملاً بدرجات حديثة راح يوزعها على كل من يقابله فى الورديان والقبارى وهو يصيح فرحًا :

- لا تنسوا رمز الدراجة... الحاج ضاحى البحر.

هجم الناس على السيارة اللورى هجوم التتار، كل يريد دراجة له، فى فرح وسرور كان يصيح :

- لا تتقاتلوا .. لكل واحد منكم دراجة هدية ووعد أن تأخذوا سيارة فى المرة القادمة.

دق تليفون السيارة فجاءه سكرتيره الخاص أثناء توزيع الدراجات:.

- تليفون يا حاج.

- من ؟

- الملك.

هرول الحاج ضاحى البحر إلى سيارته يشد من عباءته المطرزة بخيوط الذهب فوق كتفيه.. صاح:

- خير يا أفندينا.

- مبروك نجاحك يا حاج.

قاطعه ضاحى:

- ماذا يا ملك ؟ الانتخابات لم تنته بعد.

- نحن لا ننتظر انتهاء الانتخابات يا رجل، أنت لم تفهمنا بعد..

النتيجة معلنة منذ الأمس، لقد نلت أعلى نسبة على منافسك

قال:

ـ تزوير يا ملك.

ضحك:

ـ عيب يا ضاحى لا تقل تزوير نحن لا نزور الانتخابات. فقط نعرف كيف نختار الرجال المناسبين.. مبروك ولا تنسَ فى المساء الساعة السادسة بعد انتهاء الدوشة الانتخابية، سنقيم حفلاً لك، لا تتأخر يا نائب.

استطاع النائب البرلمانى استيراد الأخشاب وجلب المخدرات التى كانت تخرج من أبواب الميناء دون اعتراض مع رسائل الأخشاب التى أوردها وتوسعت أنشطته المختلفة التى كان يباركها الملك.

*

٦٠

لا أنسى تلك الليلة المفزعة التى استيقظت فيها على كابوس راودنى أكثر من مرة. رأيت نفسى أقف فوق الصخرة على شاطئ المكس وطيور البحر تحوم حولى، فأمسك بها واحدة.. واحدة.. وأكسر عنقها بيدى فى قسوة، وأرمى بها فى البحر فتخرج الأسماك فوق الأمواج تلتقط الطيور ثم تغوص فى البحر من جديد. يرانى صياد يحمل بندقية فيصوبها نحوى يصيبنى برصاصة فى قلبى، ينهمر الدم وأصرخ صرخة عالية ثم أسقط فى البحر.. أسقط .. أسقط.. وتلتهمنى الأسماك كما كانت تلتهم الطيور، وقتها قالت أمى:

- ما دام الحلم فيه دم فهو حلم فاسد.

لكن الحلم راودنى مرة ومرة وحاولت تفسيره لكنى فشلت..

* * *

جاءنا عبودة أكثر من مرة طالبًا إتمام الزواج لكنى كنت أهرب منه بالتأخير والتأجيل وحينما نفدت كل حججى وأصرت أمى على الزواج بالرجل الذى قرأنا معه الفاتحة صحت فى يأس:

ـ لا أريده.

ثم صرخت باكية:

ـ لا أريد الزواج لا..

أصابت المفاجأة عبوده فى مقتل فما من سبب يدعونى لرفضه، وراح فى صبر نافذ يتقبل حديثى ويناقشنى باحثًا عن سبب واحد فقط، لكنى لم أستطع أن أخبره بشىء.

* * *

لم أتوقع أبدًا أن يتفرغ لى الحاج ضاحى البحر فأجده أمامى فى كل وقت؛ يقدم لى المساعدة أو الهدايا، كثرت زياراته لنا فى الشقة الجديدة وهو يتحدث مع أمى بفرح وسعادة وعيناه لا تفارقنى .. يريد اغتصابى مرة أخرى بعينيه وحديثه.. إنى أكرهه.. أكرهه لقد سوّد الدنيا فى وجهى بعدما كانت مشرقة.. أبعدنى عن عبوده حبيب قلبى الذى أمتلكه.. قتلنى ضاحى البحر.. كم أتمنى أن أقتله كما قتلنى وتسبب فى قتل أمى.

قال ضاحى البحر لأمى ذات ليلة:

ـ أريد الزواج من نور.

صدمت الدهشة أمى فصاحت:

ـ أنت يا حاج.

رد عليها فى برود:

ـ سأبنى لها ڤيلا تعيش فيها كملكة متوجة.. أنا قادر وغنى معى ملايين.

قاطعته أمى:

ـ لكن نور قرأنا فاتحتها على عبودة (السواق).

صمت ضاحى البحر ثم ردد:

ـ عبوده.. عبوده (السواق) أنا أفضل منه؛ أنا أمتلك الملايين وهو.. من هو؟ شحات ابن شحات أنا الحاج ضاحى البحر صاحب شركات الاستيراد والتصدير.. أنا البحر...

قاطعته أمى:

ـ أنت متزوج يا حاج ومعك أولاد وأخذت نصيبك فى الزواج.

قال ضاحى:

ـ من حق الرجل مثنى وثلاث ورباع مادام قادرًا.

صمتت أمى ولكى تهرب منه قالت:

ـ الكلمة يا حاج والرأى لنور. لكنه لم يجدنى أمامه... كنت قد فررت هاربة منهما.

* * *

يا لدويّ فى رأسى الذى أحسه طرقًا بمطرقة العذاب. أذهب إلى الشاطئ أنظر للبحر.. أراه هائجًا متورمًا.. آه يا بحر فيك ورم هائج كورم شراييني.. جلست فوق الصخرة المحببة لى؛ أحاول استنشاق الهواء المعطر برائحة البحر فلم أستطع، ضاقت رئتاى أملت برأسى للخلف كثيرًا.. كثيرًا حتى لامست الصخور. ارتطام الأمواج بالصخور أشعر به. ترتطم الأمواج بى. عيناى فى السماء تراقب طيور البحر. وخز الصخر فى جسدى لا أشعر به كأننى فقدت الإحساس. ترتطم الأمواج بى. يملأ وجهى ماء البحر. أتذوق طعمه المالح.عينى مع الطيور المرفرفة فى السماء والمتجهة نحو المجهول..

قال لى:

ـ كنت واثقًا أنك ستأتين لهذه الصخرة.

فزعت فنهضت أبحث عن صاحب الصوت.. أعرف الصوت. أحفظه.. يسكن قلبى.

صرخت:

ـ عبودة.

رد فى انكسار :

ـ مازلتى تجيئين للصخرة يا عروس البحر.

قلت دون أن أدرى:

ـ ابعد عنى.

صرخ فى وجهى:

- لماذا أبعد عنكِ ونحن أحبة. أنا أحبك يا نور.. وأنت أيضًا.. أشعر بحبكِ لى.. أحس به فلماذا هذا النفور والابتعاد.

صمتُ لم أستطع التحدث معه فوليت له ظهرى، لكنه أسمعنى قوله:

- تحبين أحدًا غيرى.

أردت نفى التهمة لكنه أكمل:

- أعلم.. ضاحى البحر تريدينه.

تمنيت أن أصرخ فى وجهه كما صرخ فى وجهى.. لا.. لا.. لا.. لكن عقدة فى لسانى عقدت وأكمل هو:

- طبعًا رجل غنى.. يملك نصف البلد، ستعيشين معه فى عز العز؛ فما الذى يدعوك للزواج بسائق.. يوم يعمل ويوم ينام.

أدرت له ظهرى.. واجهته.. حملقت فى عينيه أبصرت دموعه..

أردت أن أحضنه.. أن أقبله.. أن أرتمى تحت قدميه أقبلهما لكنى عجزت فهربت منه لأعود إلى البيت، وصوته يأتينى كالصراخ القاتل:

- انتهى حبنا يا نور.. إنى أكرهك.. أكرهك.. أكرهك.

* * *

جاءنى ضاحى البحر حزينًا كئيبًا ممسكًا سبحته فى يده والعباءة المطرزة بخيوط الذهب فوق كتفيه تلك التى أسقطنى

فـوقـهـا. أنـا أكـرهـه أكـرهـه من كل قلبى، كل نقطة دم فى جـسـمـى تكرهه.

قال لى :

ـ أنت الآن وحـيـدة بعـد مـوت المـرحـومـة؛ ولابد لك من رجل يحـمـيكِ يظلل عليك بظله، لابد من أن تتـزوجى يا نور، وأنا الآن أجدد طلبى بالزواج منكِ.

صحت فى وجهه:

ـ تقتل القتيل وتتزوجه؛ يا لك من وغد حقير.

ابتسم قائلاً:

ـ أقدر حزنك على أمكِ، ولكنك لن تستطيعى الزواج بأحد آخر غيرى.

أشرت بأصبعى نحو الباب:

ـ اخرج... اخرج... اخرج.

أعطانى ظهره نفس الظهر، يوم الاعتداء علىّ، واتجه نحو الباب مرددًا :

ـ سأعود إليك مرة أخرى يا نور، تذكرى أنكِ لن تتزوجى غيرى؛ فأنا أريدك وما أريده أناله بشتى الطرق.. السلام عليكم.

صحت خلفه وأنا أغلق الباب فى قوة:

ـ .. إلى الجحيم.

* * *

اتصل ضاحى البحر بالملك يستشيره فى كمية الرسائل القادمة فقاطعه الملك قائلاً:

ـ الرجل ... راح تل أبيب.

لم يفهم ضاحى البحر شيئًا فسأله:

ـ مَنْ يا ملك ؟ من هو الرجل ... ؟

رد الملك:

ـ هل يوجد غيره... السادات.

سأل ضاحى:

ـ ما به ؟

قال الملك:

ـ زار إسرائيل، سيعقد معهم اتفاقية سلام.

وأغلق الخط التليفونى، لم يع ضاحى شيئًا، فأسرع إلى التليفزيون والراديو يستطلع منهما إيضاحًا للخبر المبهم.

* * *

كان السادات فرحًا سعيدًا وسط حاشيته، يستعرض رجاله وقواته المسلحة فى عظمة وغرور. وقف منتصبًا ببذلته العسكرية المزركشة بالشرائط الحمراء والأوسمة.. يؤدى التحية لرجاله.. وإذا بطلقات الرصاص ودوىٍّ القنابل يملآن المكان ويسقط الرجل

وسط رفاقه وأعوانه غارقًا فى دمائه.. يرى الناس سقوطه غير المتوقع على شاشات التليفزيون وتذيع الإذاعات خبر اغتياله..

* * *

اتصل الملك بالحاج ضاحى البحر ليخبره بوقف النشاط لحين الانتهاء من مراسم دفن الرئيس واختيار البديل، وقتها أصيبت البلد بالذهول.

* * *

قال الملك لوزرائه فى اجتماعهم الأخير:

ـ ظروف البلد اتغيرت علينا أن نكون على حذر.. لا ندرى ما الذى تخبِّئه الأيام والأحداث. جاءنا رئيس جديد لا نعرف ماذا سيفعل بعد جلوسه على الكرسى فلنوقف النشاط قليلاً ..

* * *

هدأ البحر الثائر وانطلقت الطيور فى السماء الصافية وتنسم الناس الهواء النقى، وعلت الابتسامات الوجوه..

***

طالت فترة ركود العمل ونشاط الحاج ضاحى البحر وتوقف كثير من أعمال الاستيراد والتصدير تمشيًا مع السياسة الجديدة. فرغ الميناء من العمال والأوناش والحركة الدءوب ولم يطق ضاحى البحر هذا الانتظار الطويل.

راح يردد:

- البلد وقف حالها وعلينا التزامات.. بيوت مفتوحة على حسى أصرف كثيرًا فمن أين لى بكل هذا؟

قـرَّر أن يعمل وحده بعيدًا عن الملك والوزراء.. قرار اتخذه فجأة.. إنه مازال عضو مجلس الشعب ولا أحد يشك فيه.. الأبواب كلها تفتح له بإشارة من أصبعه.. اتصل من مكتبه بشارع النصر مع دول شرق آسيا طالبًا صفقة كبيرة وجاءه الرد .. احضر فورًا.. مطلب غريب وجديد عليه.

طلب حضور عاجل.. أجاب.. سأحضر إليكم على أول طائرة قادمة.

* * *

فى الصباح صدرت الصحف وبها صورة الحاج ضاحى البحر وأسفلها خبر سفره إلى آسيا..

الخبر المنشور..

«يسافر اليوم إلى دول شرق آسيا رجل الأعمال المعروف الحاج ضاحى البحر صاحب شركات الشحن والتفريغ ونائب دائرة الورديان للاتفاق والتعاقد مع أشهر الشركات العالمية فى تجارة الأخشاب يرافقه مديرو مكتبه».

* * *

صرخ الملك فى حديقة قصره الغناء وسط أعوانه ووزرائه:

- المجنون ابن المجنون سافر يعقد الصفقات وحده، وبدون إذن منا.

يريد أن يعمل وحده.. مجنون.. خالف أوامرى أنيابه طالت.

رمى الملك سيجاره.. سحقه بحذائه..

قال :

- عرف نهاية طريقه..

* * *

هدأ العمل فى البحر، توقف النشاط فلم يجد (حمدتو) نفسه، لم يعد (مديرًا) ولم تعد له سلطات؛ فأصابه الاكتئاب، أغلق على نفسه الأبواب، وحينما خرج كان قد أطال ذقنه وارتدى الجلباب الأبيض..

* * *

صدرت الصحف وقد امتلأت بأخبار ضاحى البحر:

- بلاغ للنائب العام بمقتل (نادرة) زوجة الحاج ضاحى البحر النائب البرلمانى.. شكوك فى موتها.
- زواج ضاحى البحر من فنانة سرًا.
- عضو مجلس الشعب عن دائرة الورديان غير شرعى؛ استغل نفوذه وحصانته فى تحقيق مكاسب مشبوهة.
- التحقيق مع ضاحى البحر.
- العضو أمى لا يعرف القراءة والكتابة.
- الحاج ضاحى البحر أكبر مورد للمخدرات داخل البلاد.

● عضو جماعة المافيا الدولية.

* * *

اتصل الملك بعثمان طالبًا منه الحضور فورًا، وماهى إلا دقائق حتى وصل عثمان إليه، قال الملك له آمرًا ..

يا عثمان استعد من الآن لخوض انتخابات المجلس عن الورديان فأنت نائبها الجديد بدلاً من ضاحى البحر.

* * *

دخلت الميناء سفينة بضائع حاملة رسالة أخشاب لصالح شركات ضاحى البحر، وأثناء تفريغها هاجمت الشرطة المركب تعاونهم الكلاب البوليسية المدربة. صعد الرجال فوق ظهر المركب وتفرق الجنود فى كل مكان ومنع خروج أو دخول أى شخص غير البوليس.

ووقف العمل فى الميناء وانطلقت الأخبار سريعًا كالعاصفة:

«الحاج ضاحى البحر يدس فى الأخشاب المخدرات»

وانطلقت الألسن:

- الحاج ضاحى البحر رجل المروءة والخير تاجر مخدرات.. طبعًا، فكيف كسب كل هذه الملايين. عضو مجلس الشعب المليونير ماذا يبقى لنا نحن إذًا ؟!.

راح الجنود يقذفون باللفائف أعلى الأخشاب فتسرع الكلاب البوليسية بشكلها الوحشى إلى المركب. تعتلى الأخشاب وعند

نقطة رمى اللفائف تشمشم باحثة، وإذا بها تنبح نباحًا متواصلاً فيسرع الرجال المدربون كالكلاب يستخرجون أكياسًا من البودرة.

* * *

داهمت قوات البوليس أماكن الحاج ضاحى البحر فى الورديان والمنشية والعجمى. وحينما حاصرته فى ڤيلا العجمى خرج إليهم شاهرًا سلاحه من إحدى النوافذ الكثيرة بالڤيلا.. وأخذ فى الصياح والصراخ:

- ماذا تريدون يا كلاب السلطة ؟

- سلِّم نفسك يا ضاحى.

ازداد صراخه :

- أنا عضو مجلس الشعب ومعى حصانة.

صاح قائد الشرطة المحاصرة للڤيلا:

- مجلس الشعب حُل يا ضاحى وسقطت عضويتك؛ لا داعى للمقاومة، سلِّم نفسك معنا أمر بالقبض عليك.

رد:

- على جثتى.

ثم أطلق رصاصاته على الرجال فبادلوه النار بنار.. وازدادت طلقاته من مدفعه سريع الطلقات فأصابت قائد الجنود إصابة قاتلة، وما أن رأى الجنود قائدهم يتهاوى فوق الأرض غارقًا فى

دمائه حتى أصابهم الغضب، فانهالوا عليه بالأعيرة النارية كالمطر المنهمر من كل مكان، وارتشقت فى جسده شظية فانهمر الدم غزيرًا وسقط سلاحه من يده التى تراخت من شدة الألم، ظل رجال البوليس يطلقون أعيرتهم أخذًا بثأر قائدهم، ولكنهم استشعروا عدم المقاومة وأحسوا بخبرتهم سقوطه، فتوقفوا قليلاً عن قذائفهم ثم انطلقوا مندفعين نحو الڤيلا يداهمونها فى هجوم شرس للبحث عن غريمهم.. وإذا بهم لا يجدون له أثرًا..

* * *

قال لنفسه.. كان الملك واسع النظر.. السراديب فكرته، كأنه يرى الغيب.. ماذا لو اتصل الآن به.

اتصل من هاتف سيارته، جاءه صوت الملك :

- من ؟

- ضاحى البحر.

- ماذا تريد؟

- البوليس يطاردنى؛ أنقذنى يا ملك.

- انتهى عصرك يا بحر، خرجت من الوزارة مغضوبًا عليك.

- لماذا يا ملك ؟ أنا رجلك.

- من لا ينفذ أوامرى لا يكون من رجالى ويستحق الموت.

- الموت لى.

- الموت جزاء كل خائن فى مملكتى.

أغلق الهاتف؛ فمات الصوت، وقاد سيارته فارًا من الجحيم الذى تركه وراءه.

- أين أذهب ؟ حدث نفسه وأردف لها:

- يعرفون كل أماكنى، آه أذهب إلى نور.. لا أحد يعرف طريقى عندها.. نور حتمًا ستحمينى، ليس هناك أحد غيرها.

* * *

طرق الباب بشدة وفزع، فتحت نور، فانزلق داخل الشقة.

أغلق الباب خلفه، صاحت حينما رأته ينزف.. ما هذا؟ أنت..

قال فى إرهاق:

- خبئينى عندك يا نور البوليس يطاردنى.

أبرقت عيناها:

- لقد بحثوا عنكَ هنا.

صرخ:

- جاءوا هنا إذًا فلن يعودوا ثانية.

قالت:

- انقلبوا عليك عرفوا حقيقتك.

قال:

ـ لا وقت للكلام يا نور.

صرخت فى وجهه:

ـ اخرج.

بهت:

ـ ماذا؟

قالت:

ـ قلت لك اخرج من هنا.

اغتاظ:

ـ تطردينى يا نور.. تطردينى من شقتى من بيتى.. تطردينى بعدما أحسنت إليكِ أنت وأمكِ، تطردينى بعدما آويتكما.. فى بيتى ولم أحرمكما شيئًا، هذا هو رد الجميل.

قالت فى قسوة:

ـ بل أطردك وأقتلك لأنك مجرم.

أسرعت بعيدًا عنه، اختطفت سكينًا من حجرتها، ثم واجهته مردفة:

ـ قتلتنى كما قتلت أمى.

صرخ فى خوف جنونى:

ـ أنا لم أقتل.. أ.... أ .... أ.

قاطعته:

ـ سأصرخ وأبلغ عنك، أفضل لك الخروج من هنا وإلا..

قال فى غضب:

ـ وإلا.. وإلا ماذا يا نور.

أردفت:

ـ وإلا قتلتك... وليس لك فدية.. ولا يؤخذ علىّ شىء.

فى سخرية واصلت حديثها معه:

ـ أنت مجرم هاجمتنى وأنا دافعت عن نفسى.

فى قوة صرخت:

ـ اخرج.

قال:

ـ لن أترك هذا المكان.. إنه بيتى.. ملكى أنا.

فجأة تغيرت رنة صوته من النقيض إلى النقيض.. تحول إلى رجل حنون يقول فى حنان:

ـ سأتنازل لكِ عنه.. سأتنازل عن كل شىء لكِ.. سأكتب لك كل أموالى سأتزوجك يا نور.. هاتى ورقة وقلمًا، سأكتب أننى تزوجتك وأن كل أملاكى خالصة لك وحدك، كل شىء لكِ أنت يا نور.. كل شىء.. فقط أختبئ هنا..

أخذت نور تدفع جسده جهة الباب وهو يقاوم، تذكرته حينما حجب الضوء فى وقفته بفم الباب القديم، وتذكرت اغتصابها... صرخت:

- ... سأصرخ...

برقت عيناه على السكين التى بيدها.. برقت فى خوف، وازداد صراخها، لكن فى غفلة منها وقوة منه انقض على يدها خاطفًا السكين وقد طوقها بذراعيه فى قسوة:

- إذا صرختى رشقت السكين فى جسدك.

قالت وقد عصرها فى وحشية:

- اقتلنى؛ لم أعد أهتم بالحياة، اقتلنى كما قتلتنى من قبل، اقتلنى واقتل ابنك فى بطنى.

نظر فى وجهها، صاح :

- (ابنى.. ابنى).

انهمرت دموعه متوسلاً:

- أحبك يا نور.... أحبك.

وسط آلامه ودمه النازف وتوسله تراخت يداه فانزلقت منه نور خاطفة السكين من يده كاختطاف الطيور لأسماك البحر، شهرتها نحوه، باصقة على وجهه فى صراخ:

- اخرج من هنا.

لم يؤلمه شىء فى حياته سوى بصقة نور على وجهه فاندفع نحوها ثائرًا كثور فى حلقة مصارعة يريد قتل خصمه فانغرزت السكين فى بطنه باندفاعته المجنونة وانطلقت منه صرخة وحشرجة مميتة، وملأ الدم أرضية الشقة أسفل قدمى نور، جاءت نادرة إليه تبتسم فى تشفٍ، همست فى أذنه:

- تعال.. تعال يا أبو الغيط، قتلتك نور يا ضاحى، قتلتك يا أبو الغيط كما قتلتنى، وقتلت سيد أبو ضرار، تعال، تعال يا ضاحى..

وجاءه أبوه يحدثه... لن نعود للبلد إلا ونحن أغنياء..

أبصر أمه العجوز تبيع القادوسية فى الورديان ومعها زوجته سنية ترج جسدها الممتلئ رجًا وحولها الأولاد.

أخوه يقف أمام صنية المهلبية بجلبابه الأزرق القديم.

ويتسلق أبو الغيط السيارات من الخلف سارقًا الأخشاب، وينسكب السكر فى الطشت ينسكب ينسكب، لكن السكر يتحول إلى دم أحمر قان يأخذ فى التساقط من جسد (أبى الغيط) داخل الطشت يتساقطُ الدم مطرًا داخل الطشت الصاجى الذى يقف وسطه. يتساقط الدم ويتساقط (أبو الغيط) داخله.

* * *

أصاب نور الفزع الشديد عندما سقط أسفل قدميها ينزف دمه بغزارة. أخذت فى الصراخ المتواصل دون إرادة ناظرة إليه ممددًا كثور مذبوح. اشتد فزعها وتزايد صراخها فى هلع ورعب، وأخذت

أصابعها تشد فستانها لتمزقه وتمزق معه بطنها التى بدأت تتكور، أرادت أن تخرج الجنين من أحشائها لتتركه له وتبتعد بعيدًا، وحينما فشلت خرجت من البيت هاربة إلى البحر الذى تجد فيه راحتها وملاذها وهناك أطلت عيناها إلى السماء تراقب حركة الطيور قبيل غروب الشمس بأسرابها العديدة، فتمنت لو كانت حمامة بيضاء وسط هذه الأسراب، تطير معهم، ترفرف بجناحيها فى قوة، يطوحها الهواء، ابتسمت فى سعادة، شعرت بنشوة، السماء جميلة وواسعة أوسع كثيرًا من الأرض، وكل شىء منها يبدو ضئيلاً، المبانى والناس والشوارع، كل شىء ، كل شىء. فى السماء تشرق الشمس ويضىء القمر وتتلألأ النجوم. مسحت عيناها السماء كل السماء، لكن فجأة ارتعدت على صوت طلق نارى، رأت على إثره سقوط طائر أبيض من السماء؛ فدق قلبها وراحت تراقب فى تتابع سقوطه فى حزن.

فى هذا اليوم أخذ الحزن نور إلى مرافئه الكئيبة فدخلت على أمها الضريرة التى ما أن أحست بها حتى نادتها نور.. نور.

قالت فى حزن:

- نعم يا أمى أنا نور.

سألت الأم:

- رجعتى يا نور عينى.

اقتربت نور منها تحتضنها وتقبلها فى حنان... فسألتها:

- ما بك ؟

- أبدًا.

ردت الأم:

- أشعر بك يا نور فلا تخفى على شيئًا.

قالت نور وهى تبتعد عنها لتبدل ملابس خروجها:

- أبدًا يا أمى فقط قلبى أخذنى.

بهتت الأم فقالت فى خوف:

- على من ؟

قالت نور وقد تعرت:

- لا شىء لقد رأيت طيرًا مضروبًا بالرصاص.

اطمأنت الأم فقالت باسمة:

- كل يوم يا ابنتى تسقط الطيور.

ارتدت نور ملابسها قائلة لأمها:

- لكنى لا أحب رؤية الطيور الجريحة.

* * *

مات ضاحى البحر.. صيحة أطلقت فى أرجاء المدينة فانتشرت انتشارًا سريعًا كأنه الطوفان. مات ضاحى البحر. انتقل الخبر من المكس إلى الورديان والقبارى من كوبرى التاريخ ومينا البصل إلى

المنشية والميناء البحرى. مات البحر وكيف مات؟ الأسئلة والصراخ وانتشار الخبر الأليم ملئوا المدينة بل ملئوا كل شىء أسرع الناس لرؤية البحر الميت، أو للتأكد من موته وحينما وصلوا إليه وجدوه جثة غارقة فى الدماء تحيط بها الشرطة..

* * *

عندما وصلت نور مهرولة إلى البحر راحت تتطلع إلى مياه الأبيض المتوسط، وإلى الصخور التى تسقط عليها أشعة الشمس الذهبية فتكسبها لونًا أحمر متوهجًا ينعكس على مياه البحر الزرقاء. امتعض وجهها من رؤية هذه الأشعة لكنها أخذت نفسًا عميقًا لتعبئ رئتيها بهواء البحر الذى تحبه، فكم تعشق رائحة البحر التى تهدئ من أعصابها المتوترة. كان كل شىء حولها جميلاً، هادئًا وناعمًا بالرغم من الاضطراب والانقباض والقلق المصاحبين لها؛ فصورة ضاحى البحر الغارق فى دمائه الحمراء وسقوطه تحت قدميها محاولاً الإمساك بها مازالت عالقة بحدقتيها لكنها عبر البحر وأمواجه وصخوره وطيور النورس التى تحلق فوقه راحت تقذف بالصورة القاتلة فيه، لتزيل من بحدقتيها كل ما يتعلق بالجثة. خطت نحو الرمال، ثم جلست فوق قطعة مسطحة من الصخر المبتل بماء البحر، وصوبت نظرها نحو السماء، فأبصرت طائرًا من طيور النورس كان يطير مقتربًا منها ومبتعدًا.

انتابها وهى جالسة مستغرقة فى التفكير شعور مفاجئ بالوحدة، ذلك الشعور الذى عايشته سنوات طويلة من عمرها.

ففاضت من عينيها دمعتان تدحرجتا فوق خديها فى بطء، فجاءت موجة قوية اصطدمت بالصخور فتناثر ماء البحر على وجهها الأبيض الجميل لتتلاشى دمعتاها، ويأتيها صوت من البعيد.. البعيد مناديًا مع أمواج البحر... نور... نور... نور.. فاستجابت لنداء البحر واتجهت إليه رويدًا... رويدًا، والصوت الآتى من البعيد ينتشر فى الفضاء نور.. نور..

*

انتهت ١٩٩٧

المؤلف فى سطور

- **فؤاد نصر الدين حسين**
- عضو اتحاد كتاب مصر
- العنوان :

* الإسكندرية - الحضرة القبلية - ٢ شارع سمير عبدالله
* تليفون : ٠٣/٤٣٠٦١٥٦ (العمل)

٠٣/٤٢٨١٥٣٩ (المنزل)

- روائى وناقد من الإسكندرية.
- نشر أولى مجموعاته القصصية «وشم على صدر امرأة» سنة ١٩٨٢م.
- ونشر مجموعته الثانية «السفر إلى البلاد البعيدة» عام ١٩٨٦م.
- أما روايته الأولى فكانت «الحويطى» نشرت عام ١٩٩٣، عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة.
- ثانى رواياته «العرابة» نشرت عن المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٥م.
- تعتبر رواية «النورس لا يعشق البحر» ثالث أعماله الروائية، اتحاد كتاب مصر ٢٠٠٥م.

- شارك فى تحرير كتاب العربى بالكويت، ١٥ يناير ١٩٩٨ عن القصة القصيرة «أصوات ورؤى».
- بالإضافة لكتبه عن نقد القصة القصيرة فى المملكة العربية السعودية:

١ - السهم والمسار ١٩٩٥ .

٢ - نظرات نقدية فى القصة السعودية.

*

الفهرس

● صدر من هذه السلسلة

١ . ومازال الدم يبوح	شـعـر	محمد فهمي سند
٢ . تيك أواي	قصص	حجاج حسن أدول
٣ . الحرب الثالثة	روايـة	عبدالمنعم السلاب
٤ . أمواج في بحر الحروف	شـعـر	فوزي خضر
٥ . بكائية للوطن والغربة	قصص	رأفت سليم
٦ . فنون الواو	دراسة	عبد الستار سليم
٧ . الزجاج المكسور	قصص	غبريال وهبة
٨ . شقة الهوى والهوان	روايـة	إيهاب سلام
٩ . إسكندرية المهاجر	شـعـر	أحمد فضل شبلول
١٠ . تغريبة الخواص	روايـة	عبدالحميد الفداوي
١١ . ظل باب	قصص	أحمد محمد حميدة
١٢ . الخيول الشاردة	روايـة	بهي الدين عوض

١٣ . طوفان النار	قـصص	محمد حافظ صالح
١٤ . أيام زمان.. أين أنت	قـصص	هشام قاسم
١٥ . على المواجع	شـعـر	علي السويدي
١٦ . حبيبتي والخيل والضفيرة	شـعـر	محمد صلاح الدين السعيد
١٧ . لو أنك ياحب تجيء	شـعـر	ناجي عبداللطيف
١٨ . انشطار التاج	مسرحية شعرية	محمد أحمد حمد
١٩ . احضنوا الشمس	مسرحيات	محمد كمال محمد
٢٠ . الفلاح الفصيح	مسرحيات	محمد نصر يس
٢١ . الأمل الخالد	مسرحية	شوقي سعد لبيب
٢٢ . الأراجوز والقراقوش	مسرحية	السيد حافظ
٢٣ . مختارات	شـعـر	جليلة رضا
٢٤ . قطار الساعة ١٢	قـصص	السيد الشوربجي
٢٥ . وداع لم يتم	قـصص	محمد صفوت
٢٦ . تل المعافرة	قـصص	محمد شاكر الملط
٢٧ . عبور الميدان ظهراً	روايـة	محمد سليمان
٢٨ . كف مريم	قـصص	سعيد سالم
٢٩ . الأمل وأحلام النورس	شـعـر	يس الفيل

٣٠. لسه الأغاني ممكنة	شـــعـــر	كوثر مصطفى
٣١. عثرات الفرس الأهوج	شـــعـــر	عادل عزت
٣٢. حصان الليل	روايــــة	علي عيد
٣٣. أعناق الورد	قـــصـص	عزة بدر
٣٤. جهاز ط.ح.أ	قـــصـص	كوثر عبدالدايم
٣٥. عائلة صابر عبدالصبور	روايــــة	محمد القصبي
٣٦. أغلى حب	شـــعـــر	فاطمة الحفني
٣٧. سراية أفنديناا	مسرحية	سعيد عرفة
٣٨. العتبات الضيقة	روايــــة	السيد نجم
٣٩. أغنيات من زمن الخوف	شـــعـــر	إبراهيم صالح
٤٠. التوأم الشريد	روايــــة	عبدالله الجنايني
٤١. انتفاضة شعب	شـــعـــر	مجموعة شعراء
٤٢. الرعية	شـــعـــر	صلاح والي
٤٣. وردة في عروة القدس	شـــعـــر	جميل عبدالرحمن
٤٤. جبل الأولياء	روايــــة	محمد محمود عبدالرازق
٤٥. المسرح الشعرى بين شوقى وأباظة	دراســـة	كمال نشأت

٤٦ . انتصاف ليل مدينة	قــصص	سمير الفيل
٤٧ . كاس ودموع	شــعــر	نجوى السيد
٤٨ . البحث عن لميس	قــصص	محمود حنفي كساب
٤٩ . عازف الأرغن	شــعــر	عبدالشافي داود
٥٠ . غناء الأشياء	شــعــر	حسين علي محمد
٥١ . صلاح الشرنوبي (حياته وشعره)	دراســة	مصطفى عبدالشافي
٥٢ . يسقط يعيش	مــســرح	أحمد حسن شبرية
٥٣ . الوشم بالكلمات	مــســرح	أمين بكير
٥٤ . أصل وعفريت	قــصص	رجب حسن
٥٥ . المحبون	روايــة	جمعة محمد جمعة
٥٦ . رؤى نقدية	نقــد	هدى العجيمي
٥٧ . حجاكم الله	روايــة	محمد الناصر
٥٨ . غناء الهجر	شــعــر	عزت الطيري
٥٩ . دماء الأميرة	روايــة	عماد الدين عيسى
٦٠ . أحزان بلدنا	روايــة	مكرم فهيم
٦١ . حبات كاليزما	قــصص	سناء محمد فرج

٦٢. عيار طائش	شـعـر	عصام الزهيري
٦٣. وجوه	روايـة	مصطفى نصر
٦٤. النسمة العائدة	شـعـر	محمد حسن داود
٦٥. ظلال في الظهيرة	قـصص	مصطفى الأسمر
٦٦. كنوز شمائل	قـصص	عصام الصاوي
٦٧. الفلنكات	قـصص	محمد عبدالحافظ
٦٨. في هواها كان عمري	شـعـر	محمد علي عبدالعال
٦٩. جوع القلب	روايـة	محمد الجمل
٧٠. قراءة في اتجاهات الرواية الحديثة	دراسـة	محمد أحمد شومان
٧١. تحت السور	قـصص	سعيد بكر
٧٢. انعطاف النهر	قـصص	عبدالفتاح مرسي
٧٣. شبابيك مقفولة	شـعـر	ليلى محمد علي
٧٤. الهجرة إلى الأعماق	روايـة	سعاد شلش
٧٥. عصا أبنوس ذات مقبض ذهب	روايـة	محمد عبدالله الهادي
٧٦. عيون على الخط	روايـة	فوزي وهبة

٧٧. إشراقات الحب والغضب	قـــصص	محمد جابر غريب
٧٨. الحنان السري	قـــصص	خالد السروجي
٧٩. إلا..	شـــعـــر	فاروق خلف
٨٠. عزف.. لا يطرب النساء	شـــعـــر	سامية عبدالسلام
٨١. القارعات	قـــصص	سعد القليعي
٨٢. خلاخيل العابرة	شـــعـــر	السماح عبدالله
٨٣. إنترنت	شـــعـــر	سعدني السلاموني
٨٤. نمل الرَّصيف	شـــعـــر	محمد صابر مرسي
٨٥. عنبر ٨	روايـــــة	محمد الشريف
٨٦. قال	روايـــــة	فوزية حسن
٨٧. الشعر وأنا	شـــعـــر	شريفة فتحي
٨٨. مصر للمصريين في ثورة العربيين	مسرحية	أحمد إبراهيم أحمد
٨٩. كونشيرتو منتصف الليل	شـــعـــر	حسن النجار
٩٠. على سلّم من هشيم الرياح	شـــعـــر	حسن فتح الباب
٩١. النورس لا يعشق البحر	روايـــــة	فؤاد نصر الدين
٩٢. رمل.. وماء.. والمدى..	شـــعـــر	عبدالرحمن درويش
٩٣. شجر الصراحة	شعر عامية	إبراهيم خطاب

٩٤. قوس الرَّياحين	شـــعـــــر	مصطفي العايدي
٩٥. احتواني الانتظار	شعر عامية	إيمان أحمد يوسف
٩٦. الملاك الصغير فوق السحاب	روايـــــــة	محمدد عبدالمنعم رضوان
٩٧. عدالة في التوزيع	مـسـرحـيـة	درويش الزفتاوي

نصرالدين ، فؤاد
النورس لا يعشق البحر/ فؤاد نصرالدين ـ القاهرة :
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
١٥٦ صفحة ، ٢٤ سم ـ «اتحاد الكتاب»
١ ـ القصص العربية

ديوى ٨١٣
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢١٩ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 049 - 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org